

كِتَابُ الْبَدءِ وَالتَّارِيخِ

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ وَبِهِ الْحَوْلُ وَالْقُوَّةُ

[F° 1 ۷°] تَسْلَقُ الزَانِعُونَ عَنِ الْمَحْجَةِ فِي التَّلْبِيسِ عَلَى الضَّعْفَاءِ
وَتَمْلُقُ الْمُتَحَرِّفُونَ عَنِ نَهْجِ الْحَقِّ فِي اِفْسَادِ عَقِيدَةِ الْاَعْمِيَاءِ
مِنْ طَرِيقِ مَبَادِي الْخَلْقِ وَمَبَايِهِ وَمَا اِلَيْهِ مَعَادُهُ وَمَا لَهُ تَمَلُّقًا
بِهِ يَنْبَهُونَ غِرَّةَ النَّمِافِلِ وَيُحِيرُونَ فَطْنَةَ الْعَاقِلِ وَذَلِكَ مِنْ
اَنْكِي مَكَائِدِهِمْ لِلدِّينِ وَائْتَنُّنَ لِبُلُوغِهِمْ فِي اِنْتِقَاضِ الْمَوْحِدِينَ
وَيَأْتِي اَللّٰهُ اِلَّا اَنْ يُتِمَّ نُورَهُ^۱ وَيُعَلِّي كَلِمَتَهُ وَيُفْلِحَ حُجَّتَهُ
وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ^۱ وَاِنَّ مِنْ عَظِيمِ الْاَافَةِ عَلَى عَوَامِّ الْاُمَّةِ
تَصْدِيهِمْ لِمُنَافِرَةِ مَنْ نَافَرَهُمْ بِمَا تُخَيَّلُ فِي اَوْهَامِهِمْ وَانْتَصَبَ
فِي نَفْسِهِمْ مِنْ غَيْرِ اِرْتِيَاضٍ بِطَرُقِ الْعِلْمِ وَلَا مَعْرِفَةِ بِاَوْضَاعِ

^۱ Qor., sour. IX, v. 32.

القول ولا تحكك بادب الجدل ولا بصيرة بمقائيق الكلام ثم
القآؤهم بأيديهم عند أول صاكنة تصك أفهامهم وقارعة
تقرع أسماعهم ضريعين خاشعين مُستجدين مُستقلين الى ما لاح
لهم بلا اجالة روية ولا تنعير^(٢) عن خبيثة وعلى اهل الطرف
والشرف منهم التخصيص بالنادر الغريب والرغبة عن الظاهر
المستفيض والإيجاب بنوامض الالفاظ الرائقة والكلم الرائعة
وان كانت ناحلة المعاني فحيفة المعاني ضعيفة الضمائر واهية
القواعد ففصاري نظهرهم الاستخفاف بالشرائع والأديان
التي هي وثاق الله تعالى في سياسة خلقه وملاك امره ونظام
الألفة بين عباده وقوام معاشهم والنبه على مآدهم الرادع لهم
عن التباعى والتظالم والمهيب بهم الى التعاطف والتواصل
والباعث لهم على اعتقاد الذخائر من مشكور صنائع العاجل
ومحمود ثواب الآجل فتعرض الى ما هو منهى عنه في حكمة
العقل التعرض له من الاستهداف بقذح القادح واستدعاء
مقت الماقت والسعى في افساد ذات اليبين والاستشراف للفتنة
وتلبيس الحق على الضعفة وأكثر ما يعتري هذه البليّة طبقة
اهل اللسان والبيان يظنون ظنونا كاذبة ويستون بهم قاصرة

الى حيث يحجم هم البارز الثَّاب عن التطلع الى أدناه ويمحق ما ذكره العُتي في كتابه وان كان دخيلا في صناعته متكلِّفًا ما ليس من بزرته حيث قال في صفة هذه الطبقة قد رضى من الله ومن عباده عوضًا ان يقال فلان دقيق وفلان لطيف يذهب إلى ان لطف النظر قد اخرجه عن جملة الناس وبلغ به علم ما جهلوه فهو يدعوهم الرعاع والغشاء والغثر وهو لعمر الله بهذه الصفات أولى وهي به أليق في اخوات لهذه كثيرة ويا لها من فضيحة اذا اخذت الحجة يكظم احدهم واسبل الحق جناحه عليه بقي مهوياً منقطعاً قد خانته معرفته وكذَّبه أمنيته وبدت عورته وظهرت حيرته وصار ضحكةً للناظرين ومثلاً سائرًا في السامعين بعد أن كان يظن ضحكة لفضل علم او بيان وكفى ذُلاً وحُزناً ودناءةً ونقصاً لراضٍ بهذه المنزلة ومعتراً بتفريط السفلة مقبلاً على لحمه وعظمه مضياً أيام أدبه وعلمه ومن كانت هذه حاله فحق له النكال والتكبير في العاجل مع ما يبوء به من ناهض الاثم وعظيم الإضرار في الآجل ومن اعظم ذلك على ارباب الثلاثس وأصحاب المجالس الذين طلبهم العلم لا لله ولا لأنفسهم ولكن

للتصدّر والتقدّم فهم يأخذونه من غير مظانّه ويترشّحون له
 [٢٥ 2 ٢٥] بلاد واعية مقدّماته مستحليين أفئدة العامّة بإطراء
 مذاهبهم مُفسدين عليهم أذهانهم بما يقصّون من غرائب الحجاب
 التي رووها متأكّلة القصّاص عن أحداثٍ في العقل
 مردودة وأعجوبة عن الفهم محجوبة حتى شحّنا صدورهم
 بثرّات الأباطيل وضيعوا قلوبهم بالأسار والأساطير فمّم إلى
 كل ناعقٍ سراع وعن كلّ ذي حقٍ بطاءً وللتبع متعرضون
 وعن الواجب مُعرضون المحقّ فيهم مبطل والمدقّ مُلحد والمخالف
 لهم مقهور والناظر مهجور والحديث لهم عن جبلٍ طارّ اشهى
 اليهم من الحديث عن جبل سارٍ ورؤيا مريّة آثر عندهم من
 رواية مروية فهذه الخطّة كانت سبب حرمان العلم
 وتهجين اهله وفوت الحظ واستحقاق الخذلان والتوسيع للطاعن
 في اللين وتسهيل القادحين بالصخب والشغب والشبهة وردّ
 العيان وجحد البرهان ويأبى العلم ان يضع كنفه او يخفض
 جناحه او يسفر عن وجهه إلا لتجرّد له بكليته ومتوقّف عليه
 بأنيته^١ معانٍ بالقرينة الشاقبة^٢ والروية الصافية من

به التأييد والتسديد قد شرّ ذيله واسهر ليله حليف النصب
ضجيج التنب يأخذ مأخذه متدرجاً ويتلقاه متطرقاً لا
يظلم العلم بالتمسّف والافتحام ولا يخط فيه خبط العشواء في
الظلام ومع هجران عادة الشرّ والنزوع عن نزاع الطبع ومجانبة
الإلف ونبد المحاكلة واللجاجة واجالة الراعي عن غموض
الحقّ والتأني^١ بلطيف المأني وتوفيقه النظر حثّه من التمييز بين
المشبه والمبّضح والتفريق بين التمويه والتحقيق والوقوف عند
ميلغ القول فنجد ذلك إصابتاً^٢ المراد ومصادفة المراد
وبالله التوفيق والرشاد، ولما نظر فلان اطال الله في طاعته
يقاه وبلغ من العلوم مناه الى احوال هذه الطبقة وما قد
يقسمهم من المم وتوزّعهم من انواع النحل وتصنّف مذاهبهم
اشتاقت^٣ نفسه الى تحصيل الأصحّ من مقالاتهم وتمييز الأصوب
من اشاداتهم فأمرني لازال أمره عالياً وجده صاعداً أن أجمع
له كتاباً في هذا الباب منخطاً عن درجة العلو خارجاً عن حدّ
التقصير مهذباً من شوائب التريّد مصفّياً عن سقاط الفسالات^٤

^١ Ms. التالي.

^٢ Ms. واشتاقت.

^٣ Ms. أصابه.

^٤ Ms. المسالات.

وخرافات العجائز وتزاوير الفُصَّاص وموضوعات التَّهْمِين من
 المحدثين رغبةً منه في الخبر الذي طبعه الله عليه وامتعاظًا للحق
 ومناضلةً^١ عن الدين واحتياطًا له وذبا عن بيضة الاسلام
 وردًا لكيد مُناوِبه وارغامًا لانف فاشحيه^٢ وتحرّزًا عن أن
 يُصيب الحنق الموتر يلدغ ناره او يجلد الطاعن مطعنا
 فتسارعت الى امثال ما مثل وارتمام ما رسم وتتبعت صحاح
 الأسانيد ومتضنات التصانيف وجمت ما وجدت في ذكر مبتداه
 الخلق ومنتهاه ثم ما يتبعه من قصص الأنبياء عليهم السلم
 وأخبار الأمم والاجيال وتواريخ الملوك ذوى الاخطار من العرب
 والعجم وما روى من امر الخلفاء من لدن قيام الساعة الى
 زماننا هذا وهو سنة ثلثمائة وخمسن وخمسين من هجرة نبينا
 محمد صلعم وما حُكِيَ أنه واقع بعدد من الكواثر والفتن
 والعجائب بين يدي الساعة على نحو ما بُيِّن وفُصِّل في الكتب
 المتقدمة [٢٧٣] والَاخْبَار المورخة من الخلق والخلائق واديان
 اصناف الأمم ومعاظمتهم ورسومهم وذكر العمران من الارض

١ Ms. مناصلة.

٢ Ms. فاشحيه.

وكيفية صفات الاقاليم والممالك ثم ما جرى في الاسلام من
الغزى والفتوح وغير ذلك مما يمرّ بك في تفصيل الفصول
وانما نهينا على ما اردنا قول الحكماء اول العمل آخر التفكير
وذلك انا لما جمعنا جمع ابتداء الخلق ثم لم نجد بُدأً من تصحيح
الحجاج في ايجاب ابتدائه ولم يصح لنا تثبيت ذلك الا
باثبات مُبديه سابقاً بخلقه ولا امكن اثباته الا بعد بيان
طرق التوصل اليه فابتدانا بذكر دَرُو من حدود النظر والجدل
ثم ايجاب اثبات القديم المبدئ للميد ثم ابتداء الخلق ثم ما
يتلو ذلك فصلاً فصلاً وبأباً باباً حتى اتينا على آخر ما كان
الغرض والمقصود به . ولم يزل اهل الفضل والتحصيل من
العلماء والعظماء والملوك في قديم الزمان وحديثه يرغبون في
تخليد ذكركم ويتنافسون في ابقاء رسمهم ويحرصون ان
يورثوا من بعدهم ما يورث عنهم من منقبة حميدة وحكمة بايعة
ترغباً في اقتناء الفضل واعتقاد الذخائر تَوْخِيّاً منهم لعموم نفع
الخير وتحريماً لشمول الصلاح والرشد وذلك ثمرة الانسانية
وغاية ما يؤمله العقل وتطمح اليه النفس حتى أن فيهم من

اقتحم المالك آنفاً لذكر شجاعته ومنهم من خرق بمضنون
 النفاس ومنهم من تكلف لطائف النوادر بالأثارة^١ والاستنباط
 ومنهم من رفع مناداً او بنى بناءً او انبط مائة كلٌ يجرى على
 قدر المم والارادات لم يوجد واحد منهم خالياً عن خصلة
 من الخصال وان عميت الايتاء دونها فهذا الذي دعا فلاناً ادام
 الله تمكينه الى الاقتداء بهم والارتياح الى الاخذ بأخذهم
 والتأسي بأسوتهم لما خصه الله به من كريم الطبع وشرف
 المهمة وبُعد النور وبفية الصلاح وحب الخير ثم ما يرجوه من
 حسن الثواب وكريم المآب بما عسى الله ان يبصر به مستبصراً
 او يُرشد مسترشداً ويهدي ضالاً ويرُدُّ غاويأ وقد سَمْتُ هذا
 الكتاب بكتاب البدء والتاريخ وهو مشتمل على اثنين
 وعشرين فصلاً يجمع كل فصل ابواباً واذكاراً من جنس ما
 يدل عليه ،

الفصل الأول في تثبيت النظر وتهذيب الجدل ، وهو يجمع
 القول في معنى العلم والجهل والقول على كمية العلوم ومراتبها
 واقسامها والقول في العقل والمقول والقول في الحسن والمحسوس

١ - بالاساره . Ms .

والقول في درجات المعلومات والقول في الحد والدليل والملة والمعارضة والقياس والنظر والاجتهاد والقول في الفرق بين الدليل والملة والقول في الحدود والقول في الاضداد والقول في حدث الاعراض والقول على أهل المنود^١ ومبطل النظر والقول في مراتب النظر وحدوده والقول في علامات الانقطاع

[٣ ٣ ١٢ الفصل الثاني في اثبات الباري وتوحيد الصانع، وهو يجمع الدلائل البرهانية والحجج الاضطرارية والقول في جواب من يقول ما هو ومن هو وكيف هو والقول بأن الباري واحد وفرد لا تغير والقول بابطال التشبيه،

الفصل الثالث في صفات الباري واسمايه، وهو يجمع القول في الصفات والقول في الأسمى وما يجوز أن يُوصف به وما لا يجوز واختلاف الناس فيه،

الفصل الرابع في تشييت الرسالة وايجاب النبوة، وهو يجمع اختلاف الناس فيه وايجابه بمحنة العقل والقول في كيفية الوحي والرسالة على ما جاء في الأخبار،

١ المهرد . Ms.

الفصل الخامس في ذكر ابتداء الخلق ، وهو يجمع ايجاب
حدث الخلق وايجاب ابتدائه بالدلائل والحجج وقول
القدماء في ايجاب الخلق وابتدائه وذكر حكايات اهل
الاسلام عنهم وذكر مقالات الثنوية والحرائية والمجوس وذكر
مقالات اهل الكتاب فيه وذكر قول اهل الاسلام في
المبادئ وذكر ترجيح أصوب المذاهب وذكر ما خُلق في
العالم العلوي من الروحانيات وأول ما خُلق في العالم
السفلي من الجسمانيات وسؤال السائل ممّ خُلق الخلق
وفيم خُلق وكيف خُلق ومتى خُلق وليه خُلق ،

الفصل السادس في ذكر النوح والقلم والعرش والكرسى
وحملة العرش والملائكة وصفاتها واختلاف الناس فيها
والقول في الملائكة أمكلفون هم أم مجبورون وانهم افضل
من صالح وذكر ما جاء في الحجب وما جاء في سدرة المنتهى
وذكر الجنة والنار وذكر صفة النار وذكر اختلاف الناس
في الجنة والنار وذكر صفة اهل النار وذكر اختلاف
الناس في بقاء الجنة [والنار] وفنائها وذكر اختلاف الناس
في هذا الفصل وذكر الصراط والميزان والحوض والصور

[٢٠٣ ص] والاعراف وغيرها،

الفصل السابع في خلق السماء والأرض، وهو يجمع صفة السموات وصفة القلك وصفة ما فوق الفلك وصفة ما في الأقالك والسموات كما جاء في الخبر وصفة الكواكب والنجوم وصفة صورة الشمس والقمر والنجوم وما بينها واختلاف الناس في اجرامها واشكالها وذكر طلوع الشمس والقمر وغروبها وكسوفها وانقراض الكواكب وغير ذلك مما يمرض في السماء وذكر الرياح والسحاب والأنباء والرعد والبرق وغير ذلك مما يحدث في الجو وذكر مقالة الشمس والقمر والكواكب والشهبان وقوس قزح والزوبعة والزلازل وذكر الليل والنهار وذكر الأرض وما فيها واختلافهم في البحار والمياه والانهار والمدّ والجزر والجبال واختلافهم فيما تحت الأرض وذكر قوله تعالى اللّٰهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ اَيَّامٍ وذكر ما حكى في المدة قبل خلق الخلق وذكر مدة الدنيا [قبل آدم عليه] السلام وذكر خلق الجن والشياطين وذكر ما وصفوا من عدد العوالم،

^١ Qor., passim

الفصل الثامن في ظهور آدم وانتشار ولده، وهو يجمع اختلاف الفلاسفة في تأليف الحيوانات واختلاف المنجمين وسائر الناس في ذلك وذكر خلق آدم وذكر اختلاف أين خلق آدم وذكر قولهم كيف نفخ الروح في آدم وذكر سجود الملائكة لآدم وذكر قوله عز وجل وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ^١ وذكر دخول آدم الجنة وخروجه منها وذكر أخذ الذرية من ظهر آدم وذكر اختلاف الناس في آدم وقصته وذكر صورة آدم وخبر وفاته وذكر الروح والنفس والحياة واختلاف الناس فيها وفي الحواس من القدماء وأهل الكتاب وما جاء في القرآن من ذكرها وفي الاخبار ومناظرات الناس فيها،

الفصل التاسع في ذكر الفتن والكوائن الى قيام الساعة وما ذكر من امر الآخرة، وهو يجمع القول بوجوب فناء العالم وانتهائه وذكر قول من قال من القدماء بفناء العالم وذكر قول اهل الكتاب في هذا الباب وذكر ما جاء في مدة الدنيا وكم مضى منها وكم بقي منها وذكر التاريخ من لدن آدم الى يومنا هذا على ما وجدناه في كتب اهل الاخبار وذكر ما بقي

^١ Qor., sour. II, v. 29.

من العالم وكم مدة [أمة] محمد صلعم [فيه] عما رواه أهل الأخبار وذكر ما جاء في أشراف الساعة وعلاماتها وذكر الفتن [٤٤٣] والكوائن إلى آخر الزمان وخروج التُّرك والهمدة في رمضان والهاشمي الذي يخرج من خراسان مع الريات السود وخروج السُّقياني وخروج القحطاني وخروج المهدي وفتح قسطنطينية وخروج الدجال ونزول عيسى بن مريم عليه السلم وطلوع الشمس من مغربها وخروج دابة الأرض وذكر الدخان وخروج ياجوج وماجوج وخروج الجبشة وذكر فقدان النكبة وذكر الريح التي تقبض أرواح أهل الإيمان وذكر ارتفاع القرآن وذكر النار التي تخرج من قعر عدن تسوق الناس إلى المحشر وذكر نفخات الصور الثلاث وذكر صفة الصور واختلاف أهل الكتاب في صفة ملك الموت وذكر ما بين النفتين وذكر اختلافهم في قوله تعالى إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ^١ وذكر المطرة التي تُنبِت أجساد الموقى وذكر الحشر وذكر اختلاف الناس في كيفية الحشر وذكر الموقف وذكر تبديل الأرض وذكر طي السماء وذكر يوم

^١ Qor., sour. VI, v. 128.

القيامة وذكر ما قيل بما هو كائن بعد ذلك وذكر ما حُكي
عن القدماء في خراب العالم وذكر ما يجب على المرء اعتقاده

في هذا الباب

الفصل العاشر في ذكر الانبياء والرسل عليهم السلام ومدة
اعمارهم وقصص أهمهم واخبارهم على نهاية الإيجاز والاختصار،
الفصل الحادي عشر في ذكر ملوك العجم وما كان من مشهور
أيامهم الى مبعث نبينا محمد صلعم،

الفصل الثاني عشر في ذكر أديان اهل الارض ونحلهم
ومذاهبهم وادانهم من اهل الكتاب وغيرهم وهو يجمع ذكر
المُعطلة وذكر اصناف الهند وشرائهم وملهم واهوانهم وذكر
أهل الصين وذكر ما حكي من شرائع الترك وذكر شرائع
الخراسانيين وذكر اديان الثنوية وذكر عبدة الاوثان وذكر
مذاهب المجوس وذكر مذاهب الحرمية وذكر شرائع اهل
الجاهلية وذكر شرائع اليهود والنصارى،

الفصل الثالث عشر في ذكر أقسام الارض ومبلغ أقاليمها،
وهو يجمع ذكر الأقاليم السبعة وذكر المعروف من البحار

* Le ms. intercale ici البید (?)

والأودية والأنهار وذكر الممالك المعروفة من الهند وتبت
 وياجوج وماجوج والترك والروم وبربر والحبشة [٤٤٣] وذكر
 بلاد الإسلام من الحجاز والشام واليمن والمغرب والعراق
 والجزيرة والسواد وأذربيجان وارمينية والاهواز وفارس
 وكرمان وسجستان ومكران والجيل وخراسان وما وراء النهر
 وذكر المساجد والبقاع الفاضلة مثل مكة والعراق وذكر
 الثور والرباطات وذكر ما حكى من عجائب الأرض وعجائب
 اصناف الناس وذكر ما بلننا من المدن والقرى ومن بناها
 وأنشأها وذكر ما جاء في خراب البلدان ،

الفصل الرابع عشر في أنساب العرب وأيامها المشهورة ،

الفصل الخامس عشر في مولد النبي ومنشأه ومبعثه الى
 هجرته صلعم ،

الفصل السادس عشر في ذكر مقدم رسول الله صلعم الى
 المدينة وعدد سراياه وغزواته الى يوم وفاته ،

الفصل السابع عشر في صفة خلق رسول الله صلعم وخلق
 وسيرته وخصائصه وشرائعه ومدته عمره وذكر أزواجه وأولاده
 وقراباته وخبر وفاته وذكر معجزاته ،

الفصل الثامن عشر في ذكر أفاضل الصحابة وأولى الأمر
منهم، من المهاجرين والأنصار وذكر خُلاهم ومدة أعمارهم وابتداء
إسلامهم وذكر أولادهم ومن أعقب منهم ومن لم يُعقب،

الفصل التاسع عشر في اختلاف مقالات أهل الإسلام،
وهو يجمع ذكر فرق الشيعة وفرق الجوارج وفرق المشبهة
وفرق المعتزلة وفرق المرجية وفرق الصوفية وفرق أصحاب
الحديث رضهم،

الفصل العشرون في مدة خلافة الصحابة وما جرى فيها من
الفتوح والحوادث إلى زمن نبى أمية وهو يجمع خلافة ابى
بكر رضه وما كان في أيامه من الردة والتنبى والفتوح وخلافة
عمر رضه وما كان في أيامه من الفتوح وخلافة عثمان وما
كان في أيامه من الفتوح والفتن وخلافة على بن أبى طالب
رضه وما كان في أيامه من الفتن وذكر الجمل وصقين
والنهروان [١٥٥٣] وخروج الجوارج عليه وذكر الحشكين وخلافة
الحسن بن على رضها إلى أن غلب معاوية على الأمر،

الفصل الحادى والعشرون في ذكر ولاية بنى أمية على
الإيجاز والاختصار وما كان منها من الفتن من فتن ابن الزبير

المختار بن ابي عبيد وهو مجمع قصة زياد وموت المغيرة وعمرو
 بن العاص ووفات الحسن بن علي رضيهما وأخذ معاوية البيعة
 يزيد وولاية يزيد بن معاوية عليهما اللعنة ومقتل الحسين
 بن علي رضيهما وقصة عبد الله بن الزبير وذكر وقعة الحرة
 موت يزيد بن معاوية وولاية معاوية بن يزيد وذكر
 ننته ابن الزبير الى ان قتله الحجاج في ولاية عبد الملك
 بن مروان الى آخر أيامهم،

الفصل الثاني والمشرون في عدد خلفاء بني العباس من سنة
 اثنتين وثلاثين ومائة الى سنة خمسين وثلاثمائة،

فانناظر في هذا الكتاب كلشرف المطلع على العالم مشاهدا
 حركاته وعجيب أفعاله والسابق له قبل تركيبه وحدوثه الباقي
 بعد انجلائه ودثوره وفيه لطرق العلم توطئة ولأهل الدين
 قوة وللبتدى رياضة وللسانسان به سلوة وللتفكر فيه تبصرة
 وعبرة وهو الى مكارم الاخلاق داع وعن الدناءة ناهٍ والله نسأل
 أن ينفعنا ومن نظر فيه بما ضمن وأودع وان يشبهنا عن سنة
 الغفلة ويوقتنا توفيقا بحسن الإصابة إته سمع قريب*

* Qur., s. XI, v. 64.

ألفصلُ الأولُ

“ في تثبيت النظر وتهذيب الجدل ”

أقول وبالله التوفيق ومن عنده العصمة والتسديد ان معرفة هذا الفصل من أعوان الأسباب على درك الحق والتمييز بينه وبين ما يضافه لاغتناء بأحدٍ عن مطالعته والإشراف عليه ليعرف الصدق من نفسه ومن غيره إذ قد يترض من الفكر والتخايل والأوهام الفاسدة والخطرات الردئة ما يلتبس معها الحق ويتأب عندها الظن والشك وليس ما يميز بينها ويدل على صحة الصحيح وبطلان الباطل منها إلا النظر وبه يعترف السؤال الساقط من السؤال اللازم والجواب الجائز من الجواب المادل فلندكر الآن منه لئلا لهام ما نحن قاصدوه يكون عُدّة للناظر وقوة للناظر ثم من بعد يستقصيه ان [شأن] الله في

كتاب استثناء على هذا النوع وسماه كتاب العلم والتعليم
 ومن عند الله العصمة والتوفيق،، أقول أن العلم اعتقاد
 الشيء على ما هو به إن كان محسوساً فبالحس وإن كان معقولاً
 فبالعقل والحس والعقل أصل ما ترد إليه العلوم كلها فبإقتضاها
 بإثباته ثبت وما قضيا ينتفي انتفى هذا إذا كانا سلبين من
 الآفات يرتين من الماهات وعوارض النقص غسيلين من
 عشق عادة الالف والنشيو [٢٥٢٣] لا يكاد يقع حينئذ في
 محسوسه ومعقوله اختلاف إلا من مخالف او من معاند لأنها
 على ضرورة لا يتراض للحاس شك في هيئة المحسوس وصورته
 ولا يقدر المضطر ببديهة عقله أن لا يعلم ما يعلمه ويتيقنه
 ولا يصدق من يدعى خلافه ولو كان مضطراً الى دعواه كما
 اضطر في حوائسه لما ظهر من أحد خلاف ولا احتيج الى كسر
 قوله والكشف عن عوار كلامه ألا ترى أنه يستحيل ان
 تجد الحاسة النار باردة والثلج حاراً في الظاهر كما يستحيل ان
 يكون المعلوم متحركاً ويعلم ساكناً او يكون في نفسه
 أبيض ويقع العلم بأنه أسود ولو جاز هذا لبطلت العلوم
 كلها رأساً ونسبت الاعتقادات فساغ لكل قائل ما أراد من

تطاء السمع البصر والبصر السمع والحي ميتا والميت حيا وهذا محال
لأن العلم اذا كان ادراك الشيء على ما هو به من حدٍ وحقه
ثم لم يدرك ذاته كما هو لم يكن معلوماً وكذلك الحسن إذا لم
يدرك طبعه طبع ما يقع تحته لم يكن محسوساً وهذا لا خلاف فيه
بين التمييز العاقلين قاطبة إلا رجلين اثنين أحدهما العاقل
الذي لا نظر له لاغفاله آخذاً له استعماله ومتى لاح له
الحق اتبعه واتقطع خلافه لان قوله ذلك عن حدس وظن
وسماع وتقليد فإذا قرع سمعه ما يشهد بتصديقه قلبه مال
اليه وقبله والثاني الجاحد المائد الذي يسميه القدماء
السوفسطائي وسنذكر فساد مذهبهم في موضعه ان شاء الله
تعالى ، وضد العلم الجهل ومعناه اعتقاد الشيء على خلاف ما هو
به وليس كل من لا يعلم جاهلاً بالاطلاق ولكن الجاهل في
الحقيقة التارك طلب حد الشيء وحقه المتقصد له على غير
ما هو به ولولا ذلك لما استحق اللائمة والمذمة على
جهله،،

القول في كنية العلوم ومراتبها ، أقول أن اسم العلم قد يطلق
في الجملة على الفهم والوهم والذهن والفطنة واليقين والخبرة

والمعرفة وكل ما يحصل منه ادراك شئ ظاهراً أو باطناً
بيديمة عقل أو مباشرة حاسة أو استعمال آلة كالأستدلال
والفكرة والبحث والتمييز والقياس والاجتهاد لأن هذه الخصال
كلها آلات ادراك العلم وطرق التوصل إليه ومما يصاب من
هذه الجهة فروع بالإضافة إلى علم البدايه والحواس [أ] لا
ترى أن الإنسان العاقل المميز مضطر إلى شواهد عقله وحسه
غير مضطر إلى استدلاله وبمحمه أو لا ترى أن لاسييل إلى
البحث والاستدلال لمن عرى من عقله أو أصيب بمحمه فأول
العلم الخطرة الصادقة وهو كالبديمة مثلاً بل بقوة البديمة
وآخره اليقين وهو استقرار الحق وانتفاء الشك والشبهة عنه
وإنما اشترطنا في الخطرة الصدق لأنه قد يخطر النفس
والهوى والطبع والمادة بما لا حقيقة له فلا يجوز أن يمد
من آخر العلم اليقين الذي يحيط بالاشياء على وجهها ويدركها
بكنهها والمعرفة ادراك أيئية الشئ وذاته فمن قائل أنها
ضرورة وآخراتها [٣٥٣] مكتسبة والفرق بينها وبين العلم ان
العلم الإحاطة بذات الشئ عينه وحده والمعرفة ادراك ذاته.

وثباته وان لم يدرك حدّه وحقيقته فالعلم اعمّ وابلغ لأنّ كلّ معلوم معروف وليس كلّ معروف معلومًا ألا ترى أنّ الموحدين يرفقون ربّهم ولا يلمونه إلا بالاثبات لأنّ الكيفيّة والكميّة عنه منفيتان، والوهم اعتقاد صورة شئ محسوس أو مظنون وان كان منفيًا وجوده في الظاهر لأنّ قوّة الوهم في انبساطها تضعف فلذلك [ترى] ما لا تراه العيون وكذلك العين اذا امتدّت قوّة بصرها وبعدت مسافة المرءى عنها رأته على خلاف ما هو به من الصغر والعظم والصورة واللون وغير ذلك من الهيآت وما خلا عن الهيآت والصفات والحدود كلّها فلا يمسيها الوهم ولا يتصور في النفس والفهم هو المعرفة وقوّة الذهن قريبة من قوّة العقل غير أنّ الذهن والفهم تطبع والقطنة قريبة المعنى من الذهن وأنما احتجنا الى هذا لأنّ كثيرًا من الناس يلمون بالبحث عن هذه الأسمى ويستفرون بينها واما الأسباب التي يتوصل بها الى ما خفى من العلم فالفكرة وهي البحث عن علّة الشئ وحدّه الرأى والرؤية والاستنباط انتزاع ما في طيّ المقول والمحسوس والاستدلال والاجتهاد وقد عدّ قوم ميل المادة والطبع إلا ما يميلان اليه

او ينفران منه علماً فهذه جملة أصول العلم وطرقها ومحصولها
 راجع الى ثلاثة أصناف الى المقول بديهة والمحسوس ضرورة
 لأن ما يدرك بهما يدرك بلا واسطة ومقدمات والثالث
 المستدل عليه المستنبط بالبحث والامارة فهذه يقع فيها
 الاختلاف والاضطراب لخروجه عن حيز الحاسة والبديهة
 وتفاوت قوى المستدئين والناظرين وتفاوت آرائهم وعقولهم
 وهذا يكثر حدًا وفيه صنفت الكتب ودوت البدواين من
 على الحكمة والملة مذ قامت الدنيا على ساقيها ولا يزال
 كذلك الى انقضاء الدهور وتخزم الأيام وكثير من الناس
 أبوا أن يسموا علم البديهة والحس علماً على الحقيقة لاشتراك
 الناس كلهم فيه واستواء درجاتهم في ذلك ثم هو غير مستفاد
 ولا مكتسب بل أوجه الطبع العزيزة وقوة التمييز والحلقة ،

القول في العقل والمقول ، أقول أن العقل قوة إلهية متميزة بين
 الحق والباطل والحسن والقبيح وأم العلوم وباعث الحطرات
 الفاضلة وقابل اليقين وقد قيل إنما سمى عقلاً لأنه عقال
 للز عن التخطى إلى ما خطر عليه وقد أكتثرت الفلاسفة
 الاختلاف في ذكره ووصفه قال ارسطاطاليس في كتاب

البرهان أن العقل هو القوة التي بها يقدر الإنسان على الفكرة والتمييز وبها يلتقط المقدمات من الأشياء الجزئية يوآلف منها القياسات وقال في كتاب الأخلاق أن العقل هو ما يحصل في الإنسان بطريق الاعتياد من أنواع الفضائل حتى يصير له ذلك خلقاً ومملكة متمكنة في الناس وقال في كتاب النفس بخلاف هذا وقسمه الى ثلاثة أقسام الى العقل الهولاني والعقل الفعالي والعقل المستفاد وفسره لاسكندر^١ فقال انّ العقل الهولاني هو ما يوجد في شخص الإنسان من امكان التهيؤ لتأثير العقل الفعالي وانّ العقل المستفاد [٣٦٣] هو المصور والعقل الهولاني بمنزلة المنصر وانّ العقل الفعالي هو المخرج للعقل المستفاد على الوجوه بالفعل وزعم بعضهم أنّ العقل هو النفس وبعضهم يقول هو البارئ جلّ جلاله مع تخايط كثير منهم في هذا الباب ومما توارثناه عن الأسلاف قولهم العقل مولود والأدب مستفاد وإنما سماه بعضهم باسم افعاله فلا يضايقه بعد ان أتى المعنى المطلوب منه ألا ترى انه يقال ان كتب المتصنين أخبار الأوائل والأشعار أنها عقولهم والمعنى نتاج

^١ Ms. الاسكندر.

عقولهم وأذهانهم وقيل ظنّ الرجل قطعة من عقله فكلّ هذا
 على التمثيل والاستمارة ولا يختلف قول القدماء في ان العقل
 الهيلواني اصفى جوهر النفس وحسّه فوق حسّ النفس ورتبته
 على رتبّ الجواهر ودون رتبة الباري جلّ جلاله وهو أقرب
 الأشياء منه المسلمون لا يعلمون من العقل إلا ما هو مركّب
 في الإنسان خاصّة دون سائر الحيوان في العالم السفليّ فأمّا ما
 يحكي عن غيرهم فموقوف على الجواز ما لم يرده العقل او كتاب
 الشريعة وقد ذهب قومٌ أن حجة الطبع فيما يوجب ويُسلب أولى
 من حجة العقل وادّعوا ذلك من جهة اشتياق الى ما وافقه
 ويلائمه وانقباضه عما يعافه وينافره وانّ الله عزّ وجلّ خلقه
 اذ خلقه كذلك ولا يجوز ان يخلق شيئاً عبثاً او لغير حكمة
 وفائدة والعقل مستحسن وهو يستحسن الشيءُ ثمّ يستقبّحه
 ويستصوبه ثمّ يستحطنه والطبع لا يستحلي مرّاً ولا يستمرّ حاوياً
 ولا يبعد الشيء عن خلاف ما هو به فأجابهم مخالفوهم أن الطباع
 لا تعرف إلا ما يحسّ وتُبشر وقد تغيّرها المادّات والموارض
 عن أصل جبلتها فتميل في بعض الأوقات الى ما كانت تنفر
 عنه وينفر عما كانت تميل إليه وليس من قوتها التمييز بين

الحسن والقبیح بالاستدلال كما في قوّة العقل وقد صحت طبائع الهائم وسلت أخلاطها ثم لم يحسن خطابها وامتناع الطبع عن استحسان الحسن واستقباح القبيح غير محلي له من الحكمة ولا موجب العبث في خلقه كما أن الموات لا تحس بشئ من الأعراض ثم لم يخل من الحكمة بل دلالتة وما تحويه من المنافع والمضار الذي خص به جنسه فائدته وحكمته فدلنا ان موجب العقل هو المولى عليه في الاعتبار والاستدلال لإسقاط التكليف ووضع الامتحان على الهائم التي سلّت طباعها وأخلاطها فان قيل بنمّ عرفتم العقل قيل ينفس العقل لأتة الأصل والبدئية وأمّ علوم الاستدلال كما عرفنا الحسن نفس الحسن لأتة الطبع ولو كُنّا عرفنا العقل بعقل لأفضى الأمر إلى ما لا نهاية له ولما كان العقل أصل العلوم ورأسه فان قيل فيمّ يفرقون بين دلالة العقل ودلالة الهوى والمادة قيل بالردّ إلى الأصل لأن الفرع يشاكل الأصل ولو لم يشاكاه لم يكن فرعاً له ومن الدليل على وجوب حجة الطبع تعظيم الناس كلهم العقل وتبجيلهم إياه وتفضيلهم مراتب العقلاء ورفعهم أقدارهم واستنابهم إلى

أرائهم واعتمادهم على اشارتهم وتمتيم درجاتهم والاستخفاف بمن
 ذلَّ عقله وبدا سخفه ولم يفعلوا [٤٧٣] ذلك بمن استقامت
 طباعه وملت أخلاطه فعلمنا انه معنى غير معنى الطبع وهو
 العقل*

القول في الحس والمحسوس. أقول أن الحواس طُرُق وآلات
 مُهيأة لقبول التأثيرات كما وضعها الله عز وجلّ عليه فإذا باشرت
 الحاسة المحسوس أثرت فيه بقدر قبوله وقبّلت منه بقدر تأثيره
 فبدرت به النفس وأدته الى القلب واستقرّ فيه ثم تنازعته
 أنواع العلم من الفهم والوهم والظنّ والمعرفة وبحث عنه العقل
 وميزه فما حَقَّقَه صار يقيناً وما نفاه صار باطلاً والحواس الخمس
 أولاً يوجد شيء لا يمكن وجوده بشيء من الحواس فيحتاج الى
 حاسة سادسة ويزعم قوم أنها أربع ويجعلون الذوق ضرباً من
 اللس وبعض يقول ستّ ويعتدون فعل القلب حاسةً سادسةً
 وهذا سهل واسع بعد أن اقرّوا بصحة وجود فعل الحواس لأن
 من الناس مَنْ ينكر حقيقة فعلها تتغير أحوالها ويحتاج برؤية من
 يرى وجهه في السيف طويلاً وقامةً في الماء الذي لا يكون
 مساحة عمقه كساحة قامته منكسباً ويرى الصغير كبيراً والكبير

صغيراً والواقف سائراً وهذا من رأى المماندين والموهين إذ
لا توجد هذه التغيرات في غير حاسة البصر وذلك للعلل العارضة
من بُعد. للسافة وتكاثف الهواء فيقع الغلط من جهة الكيفية
والكمية لأن الحاسة لا تضبط الهيئة إذا بُدت فاما الآلية
فلا يقع فيها غلط ما لم يفرط بُدها فلا تحصر شخصها الحاسة
وأما سائر الحواس التي فعلها بالضمامة والمباشرة فلا يقع فيها
اختلاف ما صحت وسلمت وأهون ما يقابل به صاحب
الرأى انكار الحواس ثقسها عروضا لانكار فعل الحواس وما
اعلم انا عقلا^١ يشتغل برذ هذا الرأى وإنكاره ولظهور فساد
وقس خطابيه*.

القول في درجات العلوم^٢ أقول ان الأشياء كلها في القول على
ثلاثة أضرب واجب وسالب وممكن فالواجب في العقل
بنفس العقل واستدلالة كعلمنا بأن البناء يقتضى بانيا والكتابة
يقتضى كاتباً ولا بد لكل صنعة من صانع وان الواحد والواحد
اثنان وان الشيخ كان شياً والصغير كان رضيعاً وما أشبه ذلك
والسالب المتع المستحيل في العقل بنفس العقل واستدلالة

^١ Ms. اعقل.

^٢ Ms. العلومات.

وهو أن يوجد كتاب بغير كاتب وصنعة من غير صانع فإن
هذا لا يوجب العقل ولا يتصوره الوهم ولا يستقر عليه الطبع
والممكن الجائز الموهوم في العقل بنفس العقل كما حكى عن
القرون السالفة والبُلدان الثائية وما يذكر انه سيكون بعد
فإن ذلك مما يجوز في العقل أنه كذلك ويجوز انه ليس
كذلك لأنه لا يدلّ خاطر على تحقيق شيء من ذلك إلا
ويجوز ان يدلّ خاطر على ابطاله لدخوله في حدّ الجواز
والامكان فلما تكافأت الأدلة به قصر على حدّ الوقوف
فلا شيء إلا وهو معقول معلوم او معروف او موهوم او
محسوس*

في الحدّ والدليل [٣٦٧] والممارسة والقياس والاجتهاد والنظر
وغير ذلك ، أقول ان الحدّ ما دلّ على عين الشيء وغرضه
باحاطة وإيجاز كحدود الدار والارضين التي تميّز حصّة كل
مالك من حصّة صاحبه فيعرف به داره فأرضه والزيادة في
الحدّ نقصان والنقصان منه زيادة يبطل الحدّ المطلوب كقولك
الإنسان حتى ميت ناطق هذا حدّه فإن زيد فيه شيء او نقص
انتقض لأن الاعتبار صحّة الحدود في الأطراد بالعكس

واحد وكل ما هدى الى شئ فهو دليل عليه فالبارئ سبحانه
وتعالى دليل خلقه والرسول عليه السلم دليل أمته والكتاب
دليل والخبير دليل والاثم دليل والحركة والصواب دليل وما
أشبه ذلك هذا الذي اختاره في الدليل الذي يستدل أهل
النظر به وقد زعم بعض الناس ان الدليل هو المستدل نفسه
فناقضه مخالفه بأنه لو كان كذلك لجاز للمدعى إذا طُوب
بالدليل أن يقول أنا الدليل وهذا سهل قريب التفاوت لمن
تأمل أن اللغة لا تمنع ان يكون الدليل فاعل الدلالة
كالشرب والسير وان يكون عين الدلالة والمدلول عليه
كالصريح والقتيل يقول المدعى أنا الدليل إذا اراد فاعل
الدلالة غير خطأ وانما يستحيل إذا أراد به عين الدلالة
على ما يطالب به وقد يكون عينه دليلاً على الصانع اذا سُئل
لأنه ما من مدلول عليه إلا وهو دليل على شئ آخر وإن لم
يكن دليلاً على نفسه وأقول ان العلة السبب الموجب وهي
ضريان عقلية وشرعية فالعقلية الموجبة بذاتها غير سابقة
لمولاتها كحركة المتحرك وسكون الساكن فالشرعية التي
تطرى على الشئ فتغير حكمه ويكون مقدماتها معلولاً بملة قبلها

والقلب فتى لم ينعكس لم يستقيم. هذا الذى اختاره فى الحدود وإن كان للناس فيه أقوال ومذاهب لأن من رأى بعضهم أن حدّ الشئ وضعه له فى ذاته كالعلة وعند بعضهم حدّ الشئ من ذاته واسمه واعتبر بعضهم طرده من جانبيين كما قلنا وبعضهم اقتصر فى جانب واحد اذا [صح] الطرد وهذا لا يستقيم إلا فى باب الشرع والالزام التى حجب عن الناس عليها الموجبة كقول من زعم مثلاً أن حدّ الصلاة أنّها طاعة ثم يقول وليس كلّ طاعة صلاة فالأولى فى هذا أن نسميه صفة لا حدّاً لأنه لو كان حدّاً لسلم فى الطرفين كما قال ابن جدّة الإنسان أن يكون حباً ميتاً ناطقاً فكلّ حى ميت ناطق إنسان وكلّ إنسان حى ميت ناطق وقد قيل الحدّ جامع لما يفرقه التفضيل وأقول أن الدليل ما دلّ على المطلوب وثبّه على المقصود كأنما ما كان من جميع المعانى التى تتوصل بها الى المدلول عليه وقد يدلّ الدليل على فساد الشئ كما يدلّ على صحته فإذا دلّ على صحته شئ فهو دليل على فساد شئ والدليل على فساد الشئ فهو دليل على صحته ضدّه ويدلّ الدلائل الكثيرة المختلفة على العين الواحدة كالأطرق المؤدية الى مكان

وشرط صحة العلة جريانها في ملولها فمتى ما تقاعست عن
 الاطراد تهاقت ذلك كوجود عين او حكم لعلّة من اللل ثم
 وجود تلك العين والحكم مع زوال تلك العلة او زوال
 العين. [٨٤] والحكم مع بقاء العلة وصحة العلة كصحة
 الحد سواء مع أن كثيراً من الناس يسمون العلة الحد
 وليس بعيد لأتفاق للمنى وقيل ان العلة ذات وصف
 واحد وذات وصفين وذات أوصاف كثيرة ولا يصح الحكم
 بها إلا باجتماع أوصافها كقولنا في الإنسان انه حتى ميت
 ناطق لو اخترت صفة من هذه الصفات لبطلت ان تكون
 حداً للإنسان وعلّة له وأقول ان المعارضة تصحح ما رام
 خصمك افساده من مذهبك بمثل مذهبه ومعنى المعارضة
 والمقابلة على السواء والمائلة فاذا وقعت على خلاف ما
 يذهب الخصم اليه فهي ساقطة فاسدة وقد أنكر قوم هذا
 الباب وابطلوه وزعموا انه خارج عن حدّ الجواب والسؤال
 فأجابهم مخالفوهم بأنه ضربٌ من السؤال او زيادة فيه
 واستدلوا بأن المعارض مجيب او مرثى مناقصه ولوجاز ان
 تمسك للمعارض له عن جواب ما عورض فيه لجاز ان تمسك

المسؤل عن جواب^١ ما سُئل إذا السائل مستجيب والمعارض مجير
ثم نزل المعارضة من صححها أربع منازل يصح منها ثلاث^٢ ويبطل
واحدة وهي معارضة السؤال بالسؤال كسائل رجلاً ما قولك
في كذا فيكراً عليه وما قولك انت في كذا فهذا لأنه
ليس فيه شيء من جواب ما سُئل والثانية معارضة الدعوى
بالدعوى كقائل ان العالم قديم فيقول له الخصم ما الفرق
بينك وبين من يدعى انه مُحدث فيلزم مدعى القدم اقامة
البرهان والتفريق بين المدعوي ومتى بطل قول من ادعى
انه مُحدث صحّت له دعواه في القدم لأنّ في صحّة الشيء
فساد غيره والثالثة معارضة العلة بالعلة كقول الموحد
للجسم إذا قلت أنّ الباري جسم لانك لا تغل فاعلاً إلا
جسماً فلمّ لم تغل مركب مؤلف لانك لم ترّ إلا جسماً
مركباً مؤلفاً والرابعة معارضة الدليل بالدليل فهو أن يقال
إذا كان دليلك كيت وكيت فما الفرق بينك وبين من يزعم
ان الدليل شيء آخر غير ذلك فالجواب أنّك لا تقابل علة
بعلة ومطالبتك بالفرق مطالبة بتصحيح الدليل واقول ان

^١ Ms. répété deux fois.

^٢ Ms. répété deux fois.

القياس ردّ الشيء الى نظيره بالعلّة المشاركة ويقال القياس معرفة المجهول بالمعروف وقيل كلّ ما علم بالاستدلال من غير بديهة ولا حاسة فهو قياس وقيل القياس التقدير واحتجّ قائلوه بقول الفرزدق

[وافر]

ونحن الى زفوف مغزواتٍ نقيس على الحما نطقاً قينا

وهذه الأقوال قريبة الماى كأنها فى مشكاة واحدة وقد أجاز بعض القائسين القياس على الإسم كما أجازوه على المعنى والقياس الصحيح الذى يوافق المقيس عليه من جميع معانيه أو أكثرها وتسمى القياس البرهانيّ لدخوله فى حيز علوم الإمكان وقد أنكر بعض الناس القياس فلزمه ان يكر ما فات حواسه وبدائه ويُقرّ بصحة كلّ ما جاء من حقّ وباطل وقضية المعقول توجب ان تكون كلّ مشتبهين واحداً من حيث اشتباها وإلا فلا معنى للاشتباه ألا ترى أنّه مستحيل أن توجد نار حارة ونار باردة لاشتراك النيران فى طبع الحرارة وهو المعنى الموجب لها فى القضية وأقول ان الاجتهاد هو امان الفكرة والاستقصاء [٤٨٧] فى البحث عن وجه الحق

لذى لا يصاب بالبديهة ولا بالحس لاسكن بالطلب
والاستدلال وهو مقدمة القياس وكان القياس القضاء بالشئ
على التمثيل والاجتهاد طلب وجه ذلك القضاء من اصح
وجوهه والتحرز من وقوع الغلط فيه لأن القياس من غير
اجتهاد كالقول بالظن من غير استدلال وأقول ان النظر فعل
الناظر بقلبه ليرى ما خفى عليه فكما أن العين قد تقع على
الشئ ولا يتبينه إلا بعد النظر والتفكر فكذلك القلب
قد تعرض له الخطرة فلا يشبها إلا بعد النظر والتفكر والمناظرة
المقابلة منه وقد تكون من تشبيه النظير بالنظير فيكون معناه
القياس المحض ،

القول في الفرق بين الدليل والملة ، أقول ان الدليل ما
هدى الى الشئ وأشار إليه والملة ما اوجبه واوجده ويوصل
إلى الشئ بدليله لا بملته لأن علة ايضاً مما يوصل إليها وتعلم
بدليل لأن الذى يدل على العالم وقد يزول الدليل ولا يزول
عنه ومتى زالت الملة زالت العين وتختلف الأدلة على العين
الواحدة ولا تختلف الملة ومحال وجود ما يفوت الحواس والبداهة
بغير دليل وغير محال وجود ما لا علة له .

القول في الدليل، أقول انّ من الدليل ما يوافق المدلول عليه بوجهٍ أو وجوهٍ كثيرة كرويتنا بعض الجسم والبض يدلّ على الكلّ متصلاً كان أو متفصلاً ومنها ما لا يوافق المدلول عليه بوجه من الوجوه وسبب من الاسباب كالصوت يدلّ على المُصَوِّت ولا يشبهه والفعل يدلّ على الفاعل ولا يشبهه والدخان يدلّ على النار ولا يشبهها ويلزم من يزعم أنّ الدليل لا بُدّ أن يوافق المدلول عليه بمجهةٍ من جهاته وإن خالفه في أكثرها فإمّا إذا لم يكن بينهما مناسبة وارتفع الاشتباه ارتفع التعلّق وإذا سقط تعلّق الدليل بالمدلول عليه بطل ان يكون دليلاً إلا ان لا شئ في الغائب إلا جسم أو عرض لأنّه لا يرى في الشاهد غير حدث وإن يُنكر ما في العالم الأعلى لأنّ ما في العالم الأسفل مخالف له فلا يكون دليلاً عليه فإن زعم زاعم أنّه كذلك لا شئ في جسم أو عرض أو حدث غير أنّه مخالف لما في الشاهد طُوب بالفرق لأنّ المخالفة تقطع التعلّق والاشتباه والزم معارضه من عارضه بأن لا شئ في الغائب إلا وهو حادث ولا في الشاهد إلا غير حادث*

القول في الحدود، اقول ان الشئ اسمٌ عامٌ يُطلق على الجوهر
والعرض وما يدرك بالبديهة والحاسة والاستدلال من جميع
ما مضى وانتقضى وما هو ثابت في الحال وما سيكون فيما
بعد. وحدّ الشئ ما يصحّ أن يُعلم أو يُذكر أو يوجد أو
يخبر عنه فاذا كان هذا حدّ الشئ فقد ثبت أن المدوم شئٌ
لأنه يصحّ الخبر عنه وأنكر قومٌ أن يكون المدوم شيئاً
وجعلوا حدّ الشئ أن يكون شيئاً موجوداً لأن الموجود والثبت
يعتان الأشياء كما يعمّ الشئ ولا نقيض لهما قالوا فلو كان
حدّ الشئ المعلوم لوجد له [٣٩ ٣] نقيض وهو المجهول وزعم
بعضهم أن حدّ الشئ المُثبت لا غير ولا شئ منفي والمدوم
غير مُثبت واحتجّ بعضهم بكتاب الله عزّ وجلّ أَوَلَا يَذْكُرُ
الْإِنْسَانُ أَنَا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئاً فنفي ان
يكون الانسان قبل ان يخلق شيئاً ويقوله تعالى هَلْ أَتَى
عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنْ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَذْكُوراً^١
والشئ يذكر قبل الوجود ولو لم يكن شيئاً غير الثبت الموجود

^١ Qor., s. XIX, v. 68. Ms. ٢ اولم (sic).

^٢ Qor., ch. LXXVI, v. 1.

أوجب أن يكون ما يخبر عنه من اخبار العالم والقرون مُذ قامت الدنيا باطلاً هذراً فإن قيل أن ذلك قد خرج مرة الى الوجود قيل وما يدريك ان ما هو كائن بهد غير خارج الى الوجود وقيل اذا خرج الى الوجود فهو شئ قيل فما خرج عن الوجود فلا شئ فإن قيل محال تقدم الاسم على المسمى قيل ذلك في الخواص فاما العام فغير ممتنع لانا نقول سيكون في الدنيا أمور واسباب وحيوان فتقدم اسماءها قبل وجود شخصها وقد كان ابو الهذيل يفايظهم بقوله في المدوم انه جسم خياطٍ على رأسه قلنسوة ينزقص ونقيض الموجود المدوم ونقيض المثبت المنفى وليس نقيض الشئ لا شئ لأن المنفى والمدوم شيان قد نفى وعدم ولا شئ لا يوصف بالدم والنفى فإن قيل فجسم هو أم عرض أم حركة أم سكون قيل هو شئ معلوم مقدور عليه لا غير وحدّ الجسم أن يكون طويلاً عريضاً عميقاً مؤلفاً مركباً من اجزاء واباض شاغلاً للمكان حاملاً للاعراض ولا يوجد بته خالياً منها او من بعضها فان انكر منكر أن يكون الموصوف بهذه الصفات جسماً سلّم له وسُوهل في التسمية بما شاء وطُوب بالفرق

بينه وبين ما لا يوجد بهذه الصفات وكان هشام بن الحكم يزعم في حدّ الجسم انه ما قام بنفسه لانه كان يقول البارئ جلّ وعزّ عن قوله جسم فالجسم في اللغة ما غلظ وكشف وكذلك يقولون للجثة العظيمة جسيمة وإنا أطلق هذا الإسم على ما الموصوف به معناه فان غيّر اسمه لم يتغيّر معناه وإنما يتبين الفرق عند تفصيل الأسماء والأشخاص وحدّ العرض أن لا يقوم بنفسه ولا يوجد إلا في جسم فإن أنكره منكرٌ قويل بما يقابل به منكر الجسم وطولب بالفرق بينه وبين غيره ثم كلف على ما أشار اليه من المعنى وقد زعم قوم أن لا عرض في العالم وأن الأشياء كلها أعراض مجتمعة متفرقة وحدّ الجوهر حدّ بعينه لانه جسم ولأنّ ما خلا عن حدود الجسم والمرض والجزء لم يضبطه الوهم ولا يتصوّر في الظنّ الذي هو أضعف أجزاء العلوم ودخل في خبر الامتناع وقد يسمّى الجوهر الطينة والمادّة والهيوولي والجزء والنصر والاسطقس واختلف الناس في الجزء الذي لا يتجزأ من الأجسام فقال كثيرٌ من الناس انه لا يزال مجزأ حتى يصير في الصغر الى حيث

لا يجوز ان يتجزأ ولا يكون له ثلث ولا رُبع ولا نصف
قالوا ولولا ذلك لما كان للأجسام تناسلًا وما كان شيء
أكبر من شيء ولا أصغر منه وما جاز لقائل أن يقول أن
الله قادر على أن يرفع من الجسم كل اجتماع خلقه فيه
فأقبل الاجتماع بين جزئين قال ابن بشار النظام وهشام بن
الحكم انه يتجزأ تجزئًا بلا نهاية ولم يتهيأ بالفعل
فانه موهوم واحتجوا بأنه كما لا يجوز أن يخلق الله
شيًا لا شيء أكبر منه فكذلك لا يجوز [٢٩٧] ان
يخلق شيئًا لا شيء أصغر منه وقالوا لو كان قول من قال
أن الجزء لا يتجزأ صحيحًا كان في نفسه لا طول له ولا
عرض فإذا حدث له ثاب حدث لها طول فلن يعدوا
الطول ان يكون لأحدهما دون الآخر أو لهما معًا فلما ثبت أنه
لها علم أنه يتجزأ وقال الحسين النجار الجزء يتجزأ حتى يعود
إلى جزء لا يقبله الوهم فيبطل حينئذٍ وقال قوم لا ندرى
كيف القول فيه واختلفوا في جواز الرؤية عليه وحلول
الأعراض فيه من اللون والحركة والسكون وغير ذلك فأجازه

قومٌ ونفاه آخرون والقدماء مختلفون في هذا الفصل على خلاف قول أهل الإسلام فيزعم بعضهم أنه يرى قبل الاسطقات الاربعة اسطقات آخر صاغر الأجزاء غير متجزئة في غاية الصغر منها تركيب الاسطقات التي منها تركيب العالم وأما ارسطاطاليس يقول أما التجزئة بالقوة فانها بلا نهاية وأما بالفعل فلها نهاية وقال بعضهم لا يتجزأ لا يقبل الانفعال مع اختلاف كثير بينهم ، وحد الزمان حركة الفلك ومدى ما بين الأفعال هذا قول المسلمين وحكى عن افلاطن أنه يرى الزمان كوناً في الوهم وحكى ارسطاطاليس في كتاب السماع الطبيعي أن جميع القدماء كانوا يقولون بسرمدية الزمان إلا رجلاً واحداً يبنى افلاطن وروى عنه افلوطرخس* أنه قال جوهر الزمان هو حركة السماء هذا وفاق قول المسلمين وبعضهم يقول أن الزمان ليس بشئ مع اختلاف كثير بينهم وإنا ذكر ما ذكر من مذاهبهم لتطمئن نفس الناظر الى خلاف القائلين بالعقل والتمييز وليستفيد يقيناً بما

* فانه Mr.

. افلوطرخس Mr.

بعضه من وفاق قولهم لأن في الإجماع قوة وهو من أوكد أسباب الاستظهار^١ عليهم، وحد المكان ما اعتمد عليه الجسم أو أحاط به أو حله العرض وهذا أرادته ارسطاطاليس حيث قال المكان نهاية المحتوى الذى يماس ما يحتمى عليه واختلفوا في الخلاء والفضاء فقال قوم العالم لا خلاء فيه وإن الهواء جسم منتشر بسيط ويمتنع بالآلة التى هى على هيئة الرطل في أسفلها ثقب فاذا شد أعلاها لم يخرج الماء من أسفلها وإذا فتح سأل فقل أن الماء دفعه دافع وهو الهواء الداخلى فى الكوز وقال آخرون لا يخلو الأجسام من خلاء وهو الفرج بين الأجزاء واستندلوا بالماء الذى يُصب على الأرض فيفوس فيها وفرق قوم بين الفضاء والخلاء فقالوا الخلاء هو الفراغ من الجسم والفضاء هو المحتوى على الخلاء بلا نهاية ويزعم قوم أن الخلاء والفضاء شئ واحد ويقول آخرون انه ليس بشئ وحد المتغايرين ما جاز وجود أحدهما مع عدم الآخر وقال بعضهم حدّهما ما اختلف أوصافهما وحدّ

^١ Ms. الاستظهار.

^٢ Ms. مَنَاءة.

الضدين ما لا يجوز وجود أحدهما إلا مع عدم الآخر وحدّ الموجود ما ثبت علماً او حساً او وهماً وهو معنى الشيء وحدّ الاسم ما دلّ على المسمى بالتمييز من جنسه والصفة كالاسم في بعض الأحوال إلا أنّ خاصيّة حدّها الاخبار عما في الشيء كالعلم في العالم وقد يفرق قوم بين الوصف والصفة فيجملون الصفة ما هو ملازم للموصوف والوصف قول الواصف ذلك وحدّ الارادة ما يضطره الانسان [٣١٠] في قلبه من فعل او قول او حركة وحدّ القول ما يُبديه القائل بلسانه وقد يقال للاشارة قول على المجاز وحدّ المعنى عقد القلب على ما ابدى بلفظه فزعم ابن كلاب ان معنى القول نفس القول ولو كان كذلك ما سأل السامعُ القائلَ ما معنى قولك وحدّ الحركة زوال وانتقال وهي على ضروب فمنها الحركة الذاتية والمكانية وقد قيل الحركة اختلاف وتغيير وحدّ السكون لبث واستقرار وزعم بعضهم ان السكون ليس بشيء وحدّ الجنس ما يجمع أشياء مختلفة الصور كالحَيوان والنبات وقد قيل الجنس ما استوعب الانواع وحدّ النوع تخصيص النظائر من الجنس والشخص تمييز الذات من النوع والشخص تحت النوع

والشوع تحت الجنس وهذا المقدار من هذا الباب لإغناء
بأخذ عن مطالته فإنه كالمادة للنظر والآلة للجدل ،
القول في الأضداد، أقول ان قول من يزعم ان الشئ
لا يُعرف إلا بضده محالٌ لأن معرفة الشئ بمحدوده ودلائله
بل شكله وتظيره أسكن^١ من معرفته بضده ونديده لأن
الشئ يدل على جنسه ونوعه ما لا يدل على ضده ولكن
الضدين لا يجتمعان وعند صحة الشئ فساد ضده ولا يقع
التضاد إلا بين الموجودات فبطل قول القائل أن ضد الجسم
لا جسم وضد العرض لا عرض وضد الزمان لا زمان وضد
المكان لا مكان وضد الشئ لا شئ لأن الأضداد أشياء متنافية
وقول القائل لا جسم ولا عرض لا شئ في الحقيقة فكيف
يُضاد الشئ بلا شئ ولكن الأجسام والأعراض أشياء مضافة
كالأسود ضد الأبيض والقديم ضد المحدث لأن القديم الموجود
لا إلى أول والحادث ما يوجد بعد ان لم يكن^٢ ،

القول في حدث الأعراض ، أقول أن معرفة حدث الأعراض

١ Ms. اسكن .

٢ Ms. لم يمكن .

من أوائل العلوم القائمة في النفس البديهة وما المنكر لها إلا
بمنزلة المنكر للظاهر المحسوس لما ينتتتا تقاب الألوان المتضادة
على الأجسام كالسواد بعد البياض والبياض بعد السواد
وكذلك الروائح المتضادة^١ كالكريهة والطيبة وسائر الحالات
التي لا يخلو الجواهر منها كالحر والبرد والرطوبة واليبوسة
واللين والخشونة والحركة والسكون والاجتماع والافتقان
والافتراق والطعوم الملاذ والمكاهة وما نجد من أنفسنا من
الحب والبغض والإرادة والكراهية والشوق والملازمة والجزب
والشجاعة والقوة والضعف والشبية والمشيب والنوم واليقظة
والجوع والشبع وما نراه من حال القيام والعمود والقرب والبعد
والحياة والموت والفرح والحزن والرضا والغضب وسائر العوارض
التي تطرأ على الأجسام وبعد أن لم يكن وتزول^٢ بعد أن
كانت وهذا باب يستكمل جميع أوصاف العالم وما فيه
لو تكلفه متكلف لأنه الدليل على الحدث والكون وقليل
الشيء يدل على كثيره فإن زعم زاعم أن هذه الأعراض

^١ متضاده . Ms.

^٢ نزول . Ms.

جسام طولٍ بالفصل بين الحامل والمحمول ولا بُدَّ من
لتفصيل بينهما ثمَّ من الدليل على أن الرض غير الجسم جواز
لاختلاف عليه وعين الجسم باقية كالبشرة الخضراء مثلاً
تراها تصفر [٢٠ 10 ٢٠] فتبطل خضرتها ثمَّ تحمرُّ بعد صُفرتها وعينها
قائمة وكالراضى ينضب فيختلف حاله وعينه لا تختلف
والشاب يشيب والحي يموت فلما لم يجوز ان يقال لمن قد شاب
أنه ليس بذلك الشاب ولن مات انه ليس بذلك الحي مع
ورود حال وارتفاع حال أخرى عقل أن الرض ليس يحسم
ولا بعض الجسم لأنَّه لو كان كذلك لتغير الجسم كما
تغير الأمراض الحادثة فإذا ثبت أن الأعراض غير الأجسام
وجب إن نظر أحادثة هي أم قديمة فلما رأيناها كأنه بعد أن
لم تكن وذاتلة بعد أن كانت دلنا ذلك على حدوثها
وكونها كوجودنا الجواهر متفرقة بعد أن كانت مجتمعة ومجتمعة
بعد أن كانت متفرقة ولن يخلو أن [تكون] مجتمعة بأنفسها
أو باجتماع فيها فإن كانت مجتمعة بأنفسها لم يَجْزُ وجودها
متفرقة ما دامت انفسها قائمة فلما أنها مجتمعة باجتماع ثمَّ
نظرنا ذلك الاجتماع جوهر او عرض فدلنا أنه لو كان

جوهرًا لكان مجتمعًا باجتماع آخر ثم كذلك الى ما لا نهاية فلما
 بطل ما قلنا علمنا أنه مجتمع باجتماع هو عرض لا جوهر وكذلك
 القول في الحركة والسكون فإن قيل أن الاعراض كانت
 كامنة في الجسم ثم ظهرت بعد ظهورها حادث أم غير حادث
 مع استحالة أن يكون الاجتماع والافتراق والحركة والسكون
 كامنة في الجسم فيكون الجسم في حال واحدة ووقت واحد
 ساكنًا متحركًا ومجتمعًا متفرقًا فإن التجأوا الى مذهب
 من يقول بالميلوي وأنه كان جوهرًا قديمًا لم يزل خاليًا من
 الاعراض ثم حدث فيه الاعراض فحدث فيه هذا العالم بما فيه
 قيل لا يخلو حدوث الاعراض فيه من أن يكون كانت كامنة
 فظهرت او كانت في جوهر آخر فانتقلت او لم تكن بتة
 فأحدثت فلما استحال كون الاعراض في الجوهر الذي
 يزعمونه خاليًا من الاعراض ان يكون مثل أجسام العالم أو
 دونها أو أعظم منها او يكون جزءًا لا يتجزأ أو كيف ما كان
 فإن الصغر والكبر والمثل اعراض لم ينفك منها ولم ينفك من
 الحوادث فحادث، واعلم أن أحكام هذا الفصل من الفرض
 الواجب والحق اللازم وخاصة معرفة حدث الاعراض وان

الجوهر لا ينفك منها لأنها الدليل الظاهر على الحدث والحادث
والاختراع ونسأل الله التوفيق والتسديد وأن يصننا برحمته
ويزيدنا بصيرةً في طاعته ؛

القول على أهل النود ومبطل النظر، أقول أن طائفة من
الجاحدين سَمَّاهم السوفطائية معنى هذه اللفظة عندهم
الموهون المخرقون وقد سَمَّاهم ارسطاطاليس الملحدون
أبطلوا العلوم كلها رأساً وزعموا أن لا حقيقة لشيء من العلوم
والمعلومات فانكروا موجود الحواسر ومقول البدائه
ومستنبطات الاستدلال وزعموا أن الأشياء على الخيلولة
والحسبان وكما يراه النائم في المنام وقد أعرض كثير من
ناس عن مناظرتهم وعيت على من اشتغل بالرد عليهم لأن
ما أنكروه ضرورة المشاعر والبدائه التي يستغنى فيها عن
الدليل لأنها اصل العلوم ومتى ذهب ذاهبٌ يدل على صحته
فقد أوجب الدليل لما لا يحتاج فيه حتى يقوده ذلك الى
ما لا نهاية له وناقضهم من ناقضهم مرني^١ العامة فساد
مذهبهم فقال الحسن اوجدكم [٣ 11٣] ما تدعون أم النظر

^١ Sic, ms.

قادم الى ما تزعمون فان ادعوا الحس كذبهم العيان وإن
 ادعوا النظر قالوا لعلكم غاطلون في نظر عقولكم ولعلّ نظر
 مخالفكم يدلّ على خلاف نظركم فان سلموا الأمر لزمهم أن
 لا يناظروا مخالفاً ولا يخطؤوا مُنططاً ولا يحمّدوا مُحصناً ولا
 يذمّوا مُسيئاً وهذا خلف من القول ووهن في الرأى وإن
 ادعوا ترجيح نظرهم فقد اثبتوا النظر ونقضوا الأصل الذى
 بنوا عليه مذهبهم وقد احتسب هذا الرأى صنفان من هذه
 الأئمة مقلد مبطل النظر ومدعى أن لا دليل على النافى
 فلزمها من ذلك ما لزم أصحاب العنود وقيل لهم أبينظري
 وحجة أفدتم نظر المقول وحججها أم بنير حجة فإن قالوا
 بنظر فكيف يبطلون النظر وهم يشبّونه وإن زعموا بنير نظر
 فالسؤال والجواب من النظر ولا يلتقى به من ليس من اهل
 النظر وكلّ كلام من غير نظر فمجود أو عنود أو سهو أو غلط
 أو عبث وبمثلته يقابل الزاعم أن لا دليل على النافى ثم
 نفيتّ الدليل مع أنك مع نفيك ما نفيتّه أحد المدعيين اذ انت
 لو عارضك خصمك بمثل قولك وابطل دعواك ثم إذا طالبته
 بتصحيح مذهبه أحال على مذهبك فهل غير اثبات الدعويّين

أو استقاطها ولنظارة نيل الإسلام وفقهاهم حجاج كثيرة في هذا الباب وليس هذا من غرض هذا الكتاب ومما يستدل به على وجوب النظر أنه لما لم تكن الأشياء كلها موجودة حقًا ولا كلها باطلة حقًا ولكن حقًا وباطلًا ثم وجد الاختلاف فيها شأنًا على النظارة إما من عالم معاند أو جاهل عاجز ولم يكن الأخذ به على اختلافه وجب عليه بالنظر الذي يميز بين الحق والباطل وأيضًا لما لم تكن الأشياء كلها ظاهرة لأنها لو ظهرت لما جهل شيء ولا كانت خفية لأنها لو خفيت كلها لما علم شيء وكان منها ظاهرٌ جليٌّ وباطنٌ خفيٌّ وجب طلب علم ما خفي منها ولا يوجد ذلك إلا بالنظر،

القول في مراتب النظر وحدوده، أقول أن العلماء الذين وطأوا للنظارة سبيل النظر ومهدوا لهم سبيل الجدال أضربوا في ذلك حدًا من تدهاه أو قصر دونه تبيين تنكبه^١ وتسفه وخلل مذهبه وفساد بينته فجملوا السؤال أربعة أقسام لا يقع فيها صدق ولا كذب لأنها استخبار عن مائتة^٢ الذهب

١ بتن تكبه Ms.

٢ مائة Ms.

أولاً ثم عن الدليل تم عن الملة ثم عن تصحيح الملة وذلك نهاية فصول النظر واستقرار صحة الدعوى وفسادها وقابلوا أقسام السؤال بمددها من الجواب وكلها أخبار تختم الصدق والكذب لأن الصدق الإخبار عن الشيء بما فيه والكذب الإخبار عنه بما ليس فيه والسؤال ليس بإخبار فيحتل الصدق والكذب وإنما يوجب السؤال أحد الشئيين إما الجهل به وإما امتحان المسئول عنه والجواب يوجب القبول والتسليم والرد والإنكار بمعارضة أو مطالبة بالدليل والدليل يوجب الملة والملة تحقق الجواب إذا طردت صحت وحيثما انتهى الخصم وسأم انتهى الكلام،

[٣١١ ٧] القول في علامات الانقطاع، أقول المناقضة والانتقال والمجزع عن بلوغ الغاية ووجد الضرورة ودفع المشاهدة والاستعانة بالغير والسكوت للمجزع كلها من دلائل الانقطاع وكل سائل مخير في سؤاله متفقاً كان [أو] متنتاً أحق في سؤاله أو أحال وليست كذلك حال الجيب بل عليه القصد للحق وتعريف السائل وجه سؤال من إصابة وإحالة ولا عليه أن يجيبه عن مسألة هي فرغ

لمسئلةٍ يخالفه فيها حتى يقرّه بإيجابها وتأخذ ميثاقه على القول بها لأن الخلاف إذا كان واقعاً في الأصل لم يطرد القياس في الفرع وذلك في التمثيل كسائلٍ عن الرسالة منكر للتوحيد وإنما صحّ النبوة بصحة التوحيد لأنه الموجب لها وكلّ سؤال يرجع الى السائل بتل ما يريد أن يلزمه المسؤل فغير لازم لأنّ المعارضة فيه قائمة فطلب الدليل على الدليل والعلّة على العلة إلى ما لا نهاية له فاسدٌ لأنّ محصول الظواهر المحسوس ومحصول البواطن المقول وما لا نهاية له غير موجود ولا معلوم ولا موهوم وقد يستحسن لابن الهذيل قوله إنّ صحة الصحيح وانتقاض المنقوض في جميع ما اختلف فيه المختلفون يُلمّ في ثلاثة أوجه أحدهما إجراء^١ العلة في المعلول والثاني نقض العلة بالتفسير والثالث جحد الاضطرار فأما ترك إجراء^١ العلة في المعلول فكقول الرجل فرسى هذا جواد فيقال ولمّ قلت ذلك قال لأنّي أجرته كذا فرسخاً فيقال له أكلّ فرسٍ جرى في اليوم كذا فرسخاً فهو جواد فإن قال نعم أجرى عتته وان

^١ اجزآ، Ms. les deux fois.

قال لا فقد نقضها وهو يحتاج الى علة أخرى وأما نقض
الجملة بالتفسير فكقول القائل إذا أشدَّ حرَّ الصيف
أشدَّ^١ برد الشتاء التي تليها وإذا أشدَّ برد الشتاء أشدَّ^٢ حرَّ
الصيف التي تليها ثم يقول وقد يشتدَّ حرَّ الصيف ولا
يشتدَّ برد الشتاء الذي يليه فيكون قد نقض بهذا التفسير
الجملة التي تقدمت لأنها لو صحَّت لم يشتدَّ حرَّ الصيف إلا
بإشتداد برد الشتاء أبدًا وأما جحد الاضطراب ففى البداهة
والحواس وذلك كسؤالنا الدهرية عن شيخ رأيناه على كرسي
في هيئته وخضابه أيزعمون أنه لم يزل هكذا قاعدًا
في مكانه بحاله التي هو عليها من الكسوة والخضاب
فان قالوا نعم جحدوا الاضطراب بشهادة القول بابطالهم،
واعلم أن السكوت بعد استقرار الحق أبلغ من الكلام في
الذب عنه وزيادة البيان هجنة وربما أوردت فرصة لأن
الإفراط نقص وعلم بطلج^٣ الحججة ودحوضها^٤ أبلغ من افصاحك

^١ .واشد . Ms.

^٢ . قلع . Ms.

^٣ . ودحوضها . Ms.

بها لأنّ الشاهد شاهد القلب لا شاهد اللسان وليس كلّ من لزمه قول مناظره او عجز عن جوابه في الوقت وجب عليه المصير الى مذهب خصمه ولكن بعد التبيين والتثبيت واستبراء الحال والرجوع إلى الأصول الموطودة والأعلام المنصوبه فإذا انكشف النطاء عن وجهه وصرح المحض عن زبده وأومض الحق سيره فلا يسع حينئذ غير الاقرار والانقياد له وليس من الحق تكليف الحضم إظهار ما هو خفي في نفسه لأنه غير ممكن كما يمكنه اخفاء ما هو ظاهر في نفسه ولأن ذلك [٢١٢ ٢] إزالة الشئ عن وجهه فهذه مقدمات قدّمناها نظراً للناظر في كتابنا ونصحاً لمن احتاط لدينه وتحرّز من تمويه المحمدين وتليب المخرقين وخطرات الجحان ووساوس الخلقاء الذين أفسد الفراغ فكرهم وأخذت الكفاية قرائحهم وحلت عن الدقائق عقولهم وعاشت بصنوف الشهوات نفوسهم وملكهم الهزل وركبهم الجبل واسترقبهم الباطل وهجرتهم الفكر وعميت عليهم مواقع النظر فاحتالوا في إسقاط التكليف عنهم ليمرحوا في ميادين الشهوات وليركبوا ما يتهوونه من اللذات بانكار علوم الأصول من البدئية

والحواس والله المستعان وهو خير معين، وبعد فإن لأهل
 الإسلام أصولاً من الكتاب والسنة والاجماع والقياس
 عليها ما يقوم لهم الحجة بها بينهم ويقنعون بشهادتها ودلائلها
 وكذلك أهل كل ملة ودين وكتاب غير أن ذلك
 لتصحيح فروع دينهم وشرائع ملتهم فلذلك أضربنا عن
 ذكره صفحاً*

الفصل الثاني

في اثبات الباري وتوحيد الصانع بالدلائل البرهانية
والحجج الإضطرارية

أقول أن الدلائل التي تدلّ على إثبات الله عزّ وجلّ غير
محصاة ولا متناهية في أوام الخلائق لأنّها بعدد أجزاء أعيان
الموجودات من الحيوان والنبات وغير ذلك مما خفى من
الأبصار لأنّه ما من شيء وإن صغر جسمه ولطف شخصه إلا
وفيه عدّة دلائل تعبّر عن ربوبيّته وتصرّح عن إلهيّته
تصريحاً ينتفى مع أدناها الشبهة ويُزاح العلة وإلى هذا المعنى
نظر بعض المحدثين وفي كلّ شيء له آيةٌ تدلّ على أنّه
واحد ولن يجوز غير ما قلنا لأنّه لما كان هو خالق الخلق
وصانع الصنع ومخترع الأعيان ومُخرجها من العدم إلى الوجود لم
يفخل من آثار خلقه واختراعه فهي الدلائل المقترنة بها
الشاهدة على صانعها ومنشئها فمن الدليل على إثبات الباري سبحانه

وتعالى أنه خلاف بين الأوائل والأواخر إن الأرض منها
عامر مسكون معلوم وعامر مسكون غير معلوم وخراب مجهول غير
مسكون وإن عظم المسكون المعلوم منها العرب وفارس والروم
والهند وهم ذور الأديب والاخلاق من سائر أهل الأرض
لهم السير والسُنن والآيين والحكمة والمهبة والنظر والحاصل
المحمودة والعلوم الماثورة من الطب والتنجيم والحساب والخط
والهندسة والفراسة والكهانة والأديان والكتب وغير
ذلك مما يستعملونها في معاملاتهم وموضوعاتهم وما سواهم
رَعاعٌ وهمجٌ سافلوا الرتبة عن رب من قدّمنا ذكرهم
وناقصوا الخط من حظوظهم إما بهيئ الطبع في قلة التمييز
والفطنة وإما سببية في الجفوة والغلظة حتى أن منهم من
ينزوا بعضهم على بعض ومنهم من يأكل بعضهم بعضاً لعل
قد ذكرها القديماً ليس هذا موضع شرحها بقول الله سبحانه
وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ^١ ثم إن هذه الأمم^٢ المحمودة أخلاقهم مع
اختلاف أصنافهم وافتراق ديارهم وتفاوت آرائهم في المذاهب

^١ Ms. ذو.

^٢ Qur., ch. XVI, v. 8.

^٣ Ms. الأمة.

التي اجتجلاوا والأديان [٢٠ 12 ٧] التي اعتقدوا لم يختلفوا في
 وجود آثار الصانع الحكيم في هذا العالم وما يشاهدونه في
 أجزائه وأماضيه واختلاف طباعه وتماقب أعراضه فإذا صح
 وجود الباري الأزلي القديم الأول السابق ببدائه العقول
 وشهادة النفوس واضطرار الفطرة والحاء الخلقة بذلك بني
 تأسيسهم وعليه بني تركيبهم إلا من شد من جاهل أو جاحد
 مؤوف في نفسه أو مغلوب على عقله إذ غير مفهوم ولا موهوم
 أثر من غير مؤثر ولا صنع من غير صانع ولا حركة من غير
 محرك كما يحدد الضرورة وجود كتاب بلا كاتب وبناء بلا بان
 وصورة بلا مصور فسبحان من لا انتهاء له إذ لا ابتداء له
 منه البداية وإليه النهاية مُبدع القوى وممدّ المواد وسابق
 العلل ومنشئ البسائط ومركب العناصر وحافظ النظام ومدبر
 الأفلاك ومحدث الزمان والمكان ومحيل الأركان الحكيم
 العدل القائم بالقسط الناظر للخلق البرئ من المعائب التي عن
 اجتلاب المنافع مدبر الأمور ومدبر الدهور أرخى على الأوهام
 ستور ربوبيته وضرب على مطالع العقول حجب إلهيته
 فليس يُعرف إلا بما عرف به الخلق نفسه ولا يُدرك أحد

من صفاته كنهة الأَبصارُ عن بدائع صنعه خاسئةٌ والبصائرُ
عن ملاحظتها نابئةٌ والقلوبُ في آثار الدلائل عليه حائرةٌ
والنفوسُ مع حيرة القلوبِ إليه والهمة والعقولُ عند نحافطة
الاشرافِ عليه مضمحلَّةٌ متلاشيةٌ مبعود في كلِّ زمانٍ معروف
بكلِّ لسانٍ مذكورٍ بكلِّ اللغاتِ موصوفٍ بتضادِّ الصفاتِ ليس
كمثلِه شَيْءٌ وهو السميعُ البصيرُ نحمده على ما هَدانا ولدينه
اجتباناً ونشهد ان لا اله إلا الله نتميزُ به عن المشركين
وننزِيل عدد الجاحدين ونشهد ان محمداً عبده ورسوله
أرسله بالهدى ودين الحقِّ غير حادس ولا ساحر ولا كاهن ولا
شاعر ولا محتال ولا متنبِّ كذاب ولا مرید دنيا ولا قائل
بالمهوى فأبلغ وأدى وانذر وأهدى وصدع بأمر الله
حتى أتاه اليقين فصولات الله على روحه غاديةٌ وبرداتٌ
رحمته مترادفة على آله اجمعين ، هذا التمجيد الذي وجب
أن نصدر به كتابنا نقرناه الى حيث قدرنا انه أولى به
وأليق ، ومن الدليل على اثبات الباري سبحانه وآله النفوس
وفزعُ القلوب إذا حزبت الحوادث إليه اضطراراً إذ لا يوجد

مضطرّ وقد عَضَّتْهُ نَائِبَةٌ وَلَدَغَتْهُ نَائِبَةٌ يَفْزَعُ إِلَى
 حَجْرٍ أَوْ شَجَرٍ أَوْ مَدَدٍ أَوْ شَيْءٍ مِنَ الْخَلَائِقِ إِلَّا إِلَيْهِ وَيَدْعُوهُ بِمَا
 هُوَ مَعْرُوفٌ عِنْدَهُ مِنْ اسْمٍ أَوْ صِفَةٍ هَذَا مَشَاهِدٌ عَيَانًا كَمَا تَفْزَعُ
 النَّفْسُ عِنْدَ الْمَكَارِهِ الْمَخُوفَةِ إِلَى طَلَبِ الْمَهْرَبِ وَالنَّجَاةِ وَكَمَا
 يَفْزَعُ الطِّفْلُ إِلَى ثَدْيِ أُمِّهِ ضَرُورَةً وَخَلْقَةً كَذَلِكَ اللَّهُ فِي
 مَعْرِفَةِ خَلْقِهِ إِيَّاهُ لِأَنَّ أَثَرَ الدَّلَالَةِ فِي الْخَلْقِ عَلَيْهِ أَعْظَمُ
 مِنْ أَثَرِ الطَّبْعِ إِلَى مَا لَا يَلَائِمُهُ وَيُنَافِرُهُ وَلَا يُمْكِنُ الْمَحْدُ الْمُنْكَرُ
 وَإِنْ غَلَا وَتَسَقَّى فِي الْإِلْحَادِ الْاِمْتِنَاعُ^١ فِي مَعْرِفَةِ اللَّهِ وَاجْرَاءِ
 ذِكْرِهِ وَاسْمِهِ عَلَى لِسَانِهِ شَاءَ أَمْ أَبِي فِي حَالِ عَمْدِهِ وَنَسْيَانِهِ
 لِأَنَّ قَلْبَهُ وَلِسَانَهُ عَلَى ذَلِكَ الْخَلْقِ كَمَا أَنَّ طَبْعَهُ عَلَى الْمِيلِ
 إِلَى الْمَحْبُوبِ وَالْاِزْوَارِ عَنِ الْمَكْرُوهِ حِيلَ [٣ ١٣ ٣] وَمِنْ الدَّلِيلِ
 عَلَى اثْبَاتِ الْبَارِئِ جَلٍّ وَعِزٍّ أَنَّهُ لَا يَخْلُو لِسَانَ أُمَّةٍ مِنَ الْأُمَمِ
 فِي أَقْطَارِ الْأَرْضِ وَأَفَاقِهَا إِلَّا وَهُمْ يَسْمُونَهُ بِمَخَوَاصِرٍ مِنْ
 أَسْمَائِهِ عِنْدَهُمْ وَمُسْتَحِيلٍ وَجُودِ اسْمٍ لَا مَسْمَى لَهُ كَالسَّمَاةِ
 وَجُودِ دَلِيلٍ عَلَى غَيْرِ مَدْلُولٍ عَلَيْهِ بَلِ الْمَدْلُولُ مُوجِبٌ لِدَلِيلٍ
 كَذَلِكَ الْمَسْمَى مُوجِبٌ لِاسْمٍ وَمَا هُوَ فِي التَّمثِيلِ إِلَّا بِمَنْزِلَةٍ

١ Ms. والامتناع.

الحامل والعرض المحمول فكما يستحيل وجود عرض إلا في
 جوهر كذلك يستحيل وجود اسم إلا لسمى فن ذلك
 قول العرب له الله مفردا من غير أن يشاركوه في هذا الاسم
 بأحد من معبوداتهم لأنه خاص لهم عندهم وكانوا يطلقون
 على غيره على التنكير وأما الربّ بالتعريف والرحمن فلم
 يكونوا يميزونه إلا لله تعالى وإنما تسمى مسيلة الكذاب
 بالرحمن مضافة لله جلّ وعزّ ومائدة لرسوله عليه السلم ذلك
 مشهور مستفيض في قوافي أوائلهم قبل قيام الإسلام فن
 ذلك قول بعضهم في الجاهلية [طويل]

أَلَا ضَرَبْتَ تِلْكَ الْفَتَاةَ هَجِينَهَا أَلَا قَطَعْتَ الرَّحْمَنُ مِنْهَا يَمِينَهَا
 فأضاف فعل القطع الى الرحمن لأنه أراد به الدعاء
 وعلم أنه لا يجيب الدعاء إلا الله وقول أمية بن ابي
 الصلت [بسيط]

وَالْحَيَّةُ الْحَقِيَّةُ الرَّقِيقَاءُ أَخْرَجَهَا مِنْ جُجْرَهَا آسِنَاتُ اللَّهِ وَالْقَسَمُ
 إِذَا دَعَا بِأَسْمِهِ الْإِنْسَانُ أَوْ سَمِعَتْ ذَاتَ الْإِلَهِ يُرَى فِي سَمْعِهَا دَرَمٌ

وإنما أتينا بهذا البيت حجة لإثبات اسم الإلهية لا لرقية
الحية وقول زيد بن عمرو، [طويل]

إِلَى اللَّهِ أَهْدَى مِدْحَتِي وَتَسْأَلِيهَا^١ وَقَوْلًا رَصِينًا لِابْنِي السُّدْرِ بَاقِيَا
إِلَى الْمَلِكِ الْأَعْلَى الَّذِي لَيْسَ فَوْقَهُ إِلَهٌ وَلَا رَبٌّ سِوَاهُ مُدَائِيهَا

وقول فارس هرمز وايزد ويزدان ويزعمون أن عبادتهم النار
يقرب إلى الباري عز وجل لأنها أقوى الإسطقات وأعظم
الأركان كما قال مشركوا العرب في عبادتهم الأوثان ما
نقدم إلا ليقربونا إلى الله زُلْفَى ولا يجوز أن يكون غير
هذا حالة من يعبد شيئاً من دون الله لأنه يعلم أن
معبوده من خشب أو حجر أو نحاس أو ذهب أو شيء من
الجواهر غير خالقه ولا صانه ولا مدبر أمره ولا محوله ولقد
دخلت بيت نارخوز وهي كورة من كود فارس قديمة
البناء وسألته عن ذكر الباري في كتابهم فأخرجوا
إليّ صحيفة زعموا أنها الأبطال وهو الكتاب الذي جاءهم
به زردشت فقرأوا على لسانهم وفسروه على فهمهم الفارسية

١ تسأليها Ms.

فيكمازهم بهسته هرمر وبشتاسبندان فكمازهم رستخيز قالوا
وهرمز هو الباري بلسانهم وبشتاسبندان الملائكة ومعنى
رستخيز فني قَمَمَ وقول الأعاجم بلسان الدرية خدای
وخداوند وخدايگان وقد سميت غير واحد قال في تأويله
خذست وخوذبوذ منما أنه هو بذاته لم يكونه مكوّن
ولا يُحدثه مُحدثٌ وقول الهند والسند شيتاوات ومهاديو
وأسماء كثيرة غير هذه يصفونه بمخوَص افغاله [٢٠ 13 ٢٠] وقول
الزنج ملڪوى وجلوى قالوا مناه الربّ الاعظم وقول
الترك بير تنكرى يعنون الزبّ واحد وزعم بعضهم أن تنكرى
اسم لُحْضرة السماء فإن كان كما ذكروا فإنهم قد امنوا
بالمعنى المطلوب من الإلهية وأنما شكوا في الصفة وقال
بعضهم تنكرى هو السماء واسم الباري عندهم بالغ بايات
معناه الغنى الاعظم وقول الروم والقبط والحبشة وما يدانيها
من البلدان بالسريانية لأنّ عامتهم نصارى لاهاً ربا قدوساً
ولا فرق بين السريانية والعربية إلا في أحرف يسيرة فكأنّ
السريانية سلخت من العربية والعربية سلخت من السريانية
وقول اليهود بالعبرانية ايلوهم ادناى اهايا شراها

ومعنى ايلوهم الله واول^١ التورينة برشيت بارا ايلوهم
يقول اول شئ خلقه الله هذا الذى عليه منظم الأمم
والأجيال من أهل الكتاب وغيرهم فاما أقاطيع الناس في
مجاهيل الأقاليم فمن يحيط بلغاتهم إلا الذى خلقهم وقسم
بينهم ألسنتهم وسمت قوما من برجان يسمونه ادفا فسالتهم
عن اسم الصنم فقالوا فع وبألت القبط من صيد مصر عن
اسم البارى بلغتهم فزعموا احد شتى كذا ظنى والله أعلم،
ومن الدليل على إثبات البارى سبحانه هذا العالم بما فيه
من عجب النظم وبديع الترتيب وبحكم الصنع ولطيف التدبير
والإتقان والاتقان فلا يخلو من ثلاثة أوجه إما أنه لم يزل
كما هو وإما أنه لم يكن فكان بنفسه وإما أنه كونه مكوّن
هو غيره فلما استحال ان يكون قديماً لم يزل لمقارنة الحوادث
إياها وإن لم يخل من حادث فحادث مثله واستحال ان يكون
الشئ نفسه لاستحالة الكائن أن يبقى نفسه فكيف يجوز توهم
المدوم من أن يتركب فيصير عالماً لم يبق غير الوجه الثالث
وهو أن كونه مكوّن هو غيره غير مدوم ولا يحدث وهو

^١ Ms. répété deux fois.

البارئ جلّ جلاله واعلم ان البارئ عزّ وجلّ ليس بمحسوس فيحصره الحواس ولا معلوم بالإحاطة فيدرك كيفيته وكيته وأينته ولا مقيس بنظير له أو شبيه فيطم بأكثر الظن والحزر ولا موهوم بصورة من الصُور لكنّه معروف بدلائل افعاله وآيات آثاره موجود في القول لا غير ولا تُوجد آثاره وافعاله إلا في خلقه ومن الدليل على إثبات البارئ سبحانه تفاضل الخلق في الدرجات والطباع والمهم والإرادات والصُور والأخلاق وتمايز الأشخاص والأنواع من أجناس الحيوان والنبات فلو انها مكونة بالطباع لاستوت أحوالها وتكافأت أسبابها وكانت تكون في انفسها مختارة ولما يُوجد فيها ناقص ولا عاجز ولا مدموم ولا متأخر عن درجة صاحبه فلما وجدنا الامر بخلافه علمنا أنّ مدبراً دبره ومرتباً رتبّه وهو البارئ سبحانه، وقد قلنا في صدر هذه المقالة ان عدد الدلائل عليه تعالى وتقدّس غير محصاة ولا متقصاة لأنك لو عمدت الى أصغر شخص من أشخاص الحيوان وأعملت فكرك في تعداد ما يوجدك من آثار صنع الصانع فيه لرجعت حسيراً عيبياً

١ Ms. مكوّن.

وأمجزتك حُجَجَ الباري جلّ وعز وحيرتك آثارُ صنعه وذلك في المثل كناظر في بَعُوضَةٍ أو نَمَلَةٍ [٣ 14 ٤] أو ذُبَابٍ كيف بنى الباري جلّ وعزّ جسمه في لطفه وصغر أجزائه وكيف أطلق له القوائم والأجنحة وكيف ركب فيه من الأعضاء ما لو فُزِقَتْ لما كان الطّرف يدركها ولا الوهم يمسّها ولا الحاسة تمدها وكيف ركب فيه من الطبائع ما تمّ به قوام أركانه واستواء نظامه وكيف أودعه معرفة ما فيه صلاحه من طلب منافعه واجتناب مضاره وكيف سلك في جوفه مداخل غذائه ومانفذ طعامه مع نخفة جسمه وقلّة ذاته وكيف أحمل عليه الأعراض وصنعه بألوان الصبغ وكيف ركب الحركة والسكون والاجتماع والافتراق والصوت والصورة وكيف ركب فيه العين بل كيف ركب في عينه البصر هذا في صغار هوامّ ما يتولد وإن كان طبع الزمان علّة لبسه وإثارته فإنه لم يتركب هذا التركيب العجيب والنضيد الأنيق إلا من تدبير قادر حكيم وكذلك لو نظر الى أدون نبت من النبات وما أُجمِعَ فيه من اختلاف ألوانه من نُوره وورقه وفرقه وجذعه وعرقه واختلاف طعوم أجزائه ورائحتها ومنافعها ومضارّها

لذلك على تدبير قادر حكيم وكيف لو رجع الى نفسه
فنظر الى كمال صورته وحسن هيئته^١ واعتدال بنيتة مع ما
خُصَّ به من الحكمة والعلم والفتنة والبحث والفكرة
بلطيف الأمور وجليلها وحذقه بأنواع الصناعات وحسن
اهتدائه اليها وخبرته بالأمور الغامضة واستيلائه على جميع
الحيوان بفضل عقله وزيادة فطنته ثم هو مع ما وصفناه به من
الكمال والتمام مبنى^٢ على الضعف والحاجة إلى ما صغير ما في
العالم وكبيره مضمّن بالنصب والتعب عاجز عن دفع ما يحلّ به
من الآفات جاهل بأسباب كونه وتصرفه في تشوه
ونمائه وزيادته ونقصانه محتاج الى ما يقيه ويقيه لده
ذلك على تدبير قادر حكيم وكذلك إذا نظر إلى هذا
العالم وما يرى فيه من شواهد التدبير وآثار التركيب في الهيئة
والشكل والصّور مع اتصال بعضه في بعض وحاجة بعضه إلى
بعض من اعتقاب الحرّ والبرد واختلاف الليل والنهار واتفاق
الأركان وتساومها على تضادّها وتباينها علم أنّه من تدبير

^١ هيئته . Ms.

^٢ مبنى . Ms.

قادر حكيم ولو جاز لتوهم ان يتوهم حدوث هذا العالم من
 غير محدث لجاز لغيره ان يتوهم وجود بناء من غير بان وكتابة
 من غير كتاب ونقش من غير نقاش وصورة من غير مصور
 ولساغ له اذا نظر الى قصر مشيد وبناء وثيق ان يظن انه
 انساب إلى كومة من التراب مجتمعة لم يجمعها جامع فاختلط
 بها من غير خالط حتى التفت ونديت ثم انسبت لبنا على
 اكمل التقدير وآثق التربع من غير سابق ولا ضارب ثم
 تأسس أساس القصر وتمكنت قواعده وارتفعت ساقاته
 وأعراقه حتى إذا تطاولت حيطانه وتكاملت أركانها
 وتطارت اللبن وتراكت على حواشها وتناضدت أحسن التراكم
 والتناضد ثم تساقط الجدوع والجوانز من أشجارها على قدر
 البيوت والحطط والمحتطة للأبوية بلا حاصد لها ولا عاضد ثم
 أنجزت بلا ناجر [٣ ١٤ ٣] وانتشرت بلا ناشر وأسفت بلا
 سافن فلما تهياً منه الكمال واستقام المائل ترقت بأنفسها
 فانفرزت في مناظرها وتسقفت فوق بيوتها وفاقت أساطينها
 تحتها ثم انطبقت عليها صفائحها وانتصبت أبوابها فانغلقت
 بذاتها ثم تكلس القصر وتبسط وتخص وتنفش بأنواع

التزويق والنقوش واستوى أمره وشاد بناؤه واجتمع متفرقه
على أحسن التقدير وأكل التدبير حتى لا تعرف منه ناحية ولا
لينة ولا قصة إلا ومفهوم للتاظر إليه موضع الحكمة والحاجة
إليه من غير فاعل فله ولا صانع صنعه ولا ساع سعى فيه
ولا مدبر دبره وكذلك^١ لو نظر الى سفينة مشحونة موقرة
بألوان الحمولات وأصناف السلع راكدة في لجة البحر او
سائرة انها تركبت ألواحها وأعضاها وتسرت مساميرها
ودسرها وانضمت حتى اسقنت بداتها ثم نقلت الحموله إلى
نفسها حتى امتلأت ثم ركدت في الماء فسافرت عند الحاجة
وكذلك لو نظر الى ثوب منسوج او ديباج منقوش انه
فحلج قطنه وخلص قره ثم انغزل وانفتل وانصبغ والتأمت
الوشائع^٢ وامتدت الاشراع والتقت الى منوالها وانضمت الخيوط
بعضها الى بعض فانتسج وانتسج فاذا لم يجز هذا المتوهم
فكيف يتوهمه على هذا العالم العجيب النظم الباهر التركيب
فان ذهبَ ذاهبٌ إلى الفرق بين تركيب العالم وتركيب

^١ وذلك Ms.

^٢ الوشائع Ms.

ما يركبه الإنسان بأن المادة لم تجوزَ بإبتناء الدور وانتساج الأثواب وانصبغ الأواني ولم يوجد مثل ذلك في الامتحان والطبائع قيل فكيف جوزتم ما هو أعجب مما ذكرنا واعظم من غير فاعل مختار ولا حكيم قادر فإن زعم أن تركيب هذا العالم على هذا النظم ولتركيب من فعل الطبائع فالطبايع إذا احياء قادرة حكيمة عالة ولم يبقَ بيننا وبينه من الخلاف الى تحويل الاسم وتغيير الصفة وإن انكر حياة الطبيعة وحكمتها وقدرتها فكيف يجوز وجود فعل محكم متقن من غير حكيم حميد قادر فإن زعم بالحد والأتاق على هذا الاتساق غير موهوم وإنما وقوعه في التوادر ولوجاز ذلك لجاز أن من له ساحة ولا بناء فيها ولا عمارة يتفق اتفاق ليلة فتصبح مبنية دوراً مفروسة اشجاراً على احسن الابنية واعجب التركيب ولا يحيص للملحد من حجج الله وآياته فكيف وهو حجة بنفسه وتغيره وليس نورد من هذا الباب هاهنا إلا ما يضاهاى الفصل وما يصح ويحمل دون ما ينض ويدق لأن من عزمنا أن نبالم في الاستقصاء والايضاح لهذه المسائل في كتاب

سميائه بالديانة والامانة شكراً ان أنعم علينا بالتوحيد ومناضلة
 عن الدين وتبصراً للمستبصرين ومن عند الله التوفيق ، واعلم
 انه لو جاز أن يُوجد شيء من الأجسام لا من خلق الله لجاز
 أن يوجد عارياً من دلالة عليه. فإذا لم يوجد إلا من خلقه لم
 يخل من دلالة عليه فإن قيل وكيف يعلم أنه مصنوع
 مخلوق قيل بآثار الحدث فيه فإن قيل فما آثار الحدث قيل
 الأعراض التي لا ترى الجواهر منها من الاجتماع والافتراق
 والحركة والسكون واللون والطعم والرائحة وغير ذلك فإن
 اتكر الأعراض وحدوثها كلّم بما ذكرناه في موضعه [١٥ 15 ١٥] من
 الفصل الأول فبمحدث الأعراض يصح حدوث الأجسام
 وبمحدث الأجسام يصح وجود المحدث الباري لها سبحانه
 ولقد قرأت في بعض كتب القدماء ان ملكاً من ملوكهم سأل
 حكياً من الحكماء ما أدلّ الأمور على الله فقال له الدلائل
 كثيرة وأولها مسلتك^١ عنه لأن السؤال لا يقع على لا شيء
 قال الملك ثم ما ذا قال شكّ الشاكّين فيه فأتى
 يُشكّ فيا هو لا فيا لا هو قال الملك ثم ما ذا قال وله

^١ مسالتك .

الظن^١ اليه الذي لا يستطيع الامتناع منه قال الملك زدني قال
 حدوث الأشياء وتنقلها على غير مشيئتها قال زدني قال الحياة
 والموت اللذان يسميهما الفلاسفة النشؤ واليلى فليست واجداً
 احداً أحياء نفسه ولا حياً إلا كارهاً للموت ولن ينسل^٢ منهم
 يعنى لا ينجو قال زدني قال الثواب والعقاب على الحسنه
 والسيئه الجاريان على السنة الناس قال زدني قال أجد
 مزيداً، وجاء في الأخبار ان بنى اسرائيل اختلفوا في هذا
 الباب ففزعوا الى عالم فسألوه يم عرفت البارئ قال بفسخ
 العزم ونقض الهمة وكُتِبَ الله المنزلة مملوءة بدلائل
 الاثبات والتوحيد تأكيداً للحجة لأنه موضوع في نفس
 الفطرة وخاصة القرآن وقال الله لرسوله حيث سُئِلَ عن
الدلالة عليه إن في خلق السموات والأرض واختلاف
الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما
أزّل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها
وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر

^١ النظر. Ms.

^٢ يس. J.

بين السماء والأرض لآياتٍ لقومٍ يعقلون^١ فدل على نفسه
 بخصوص أفعاله ومعجزات آتاه التي لا سمي لغيره في شيء
 منها وقال ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين^٢ ثم
 جعلناه نطفة^٣ في قرارٍ مكين^٤ إلى قوله فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ
 الْخَالِقِينَ^٥ هل ترى أحدًا يدعى فعل شيء من ذلك وقال
 أَمِنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً
 فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدائقَ ذَاتِ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا
 شَجَرَهَا أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ بَلٌّ لَهُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ، أَمِنْ جَعَلَ الْأَرْضَ
 قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ
 حَاجِزًا أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ إِلَى آخِرِ الْأَيِّ الْحُسْنُ وَقَوْلُهُ أَفَرَأَيْتُمْ
 مَا تُمْنُونَ، أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ^٦، دلهم على
 نفسه بضمه بإعجازهم في آخر الآيات فأولاً إن كُنْتُمْ غَيْرَ
 مَدِينِينَ تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ^٧ وتكاف غير ما

^١ Qor., sour. 11, v. 159.

^٢ Qor., XXIII, v. 12-13.

^٣ Ibid., v. 14.

^٤ Qor., XXVII, v. 61 et suiv.

^٥ Qor., sour. LVI, v. 58-59.

^٦ Ibid., v. 85-86.

في كتاب الله فضل لأنه معرض لمن تدبره وتأمله
وقال وفي أنفسكم أفلا تبصرون^١ انكم تجدوها ولم
تجدوها ولستم تعلمون شيئاً من أمرها من الصحة والسقم
والشباب وقال سُرِّيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وفي أنفسهم حتى
يتبين لهم أنه الحق^٢ يعني بما ضمنها من آثار الصنع
وشواهد التدبير ودلائل الحدث وروينا في حديث أن رجلاً
سأل محمد بن عليّ أو ابنه جعفر بن محمد يا ابن رسول الله هل
رأيت ربك حين عبدته فقال ما كنت لا أعبد رباً لم
أره فقال الرجل وكيف رأيتَه قال لم تَرَه العيون بمشاهدة
العيان ولكن رأته القلوب بحقائق الإيمان لا يدرك
بالحواس ولا يقاس بالقياس^٣ معروف بالدلالات موصوف
بالصفات له الخلق والأمر يُعزّ بالحق ويُذلّ [٢٥ 15 ٧٥] بالعدل
وهو على كل شيء قدير وسئل عليّ بن الحسين رضي الله عنها
متى كان ربك قال ومتى لم يكن ربنا وحكي عن بعض

^١ Qor., LI, v. 21.

^٢ Qor., XLI, v. 53.

^٣ Ms. ألم.

^٤ Ms. بالناس.

الحكماء أنه كان يقصر^١ الناس على هذا القدر من التوحيد
 ولم يرخص لهم الخوض في أكثر منه فيقول التوحيد أربعة
 أشياء معرفة الوحدانية والإقرار بالربوبية وإخلاص
 الالهية والاجتهاد في الميودية وكانت حكما العرب في كفرها
 وجاهليتها يُشيرون اليه في أشعارهم ويمدحونه بالآية ونمائه
 فمن ذلك قول زيد بن عمرو بن نفيل [طويل]

وَأَنْتَ الَّذِي مِنْ فَضْلٍ مِنْ رَحْمَةٍ	بَشْتِ إِلَى مُوسَى رَسُولًا مَنَادِيَا
فَقُلْتَ لَهُ فَأَذْهَبْ وَهَارُونَ فَادْعُو	إِلَى اللَّهِ فَرَعُونَ الَّذِي كَانَ طَاغِيَا
وَقُولَا لَهُ أَنْتَ سَمَّيْتَ هَذِهِ	بِلَا تَحْمِيدٍ حَتَّى أَسْتَقِرْتَ كَمَا هِيََا
وَقُولَا لَهُ أَنْتَ سَمَّيْتَ هَذِهِ	بِلَا وَتَدِي حَتَّى أَسْتَقِرْتَ كَمَا هِيََا
وَقُولَا لَهُ مَنْ يُرْسِلُ الشَّمْسَ غُدُوَّةً	فَتَصْبِحُ مَا مَسَّتْ مِنَ الْأَرْضِ صَاحِيَا
وَقُولَا لَهُ مَنْ يَنْبِتُ الْحَيَّ وَالْأَثْرَى	فَتَصْبِحُ مِنْهُ الْبَقْلُ يَهْتَزُّ رَاسِيَا

وكان يقول [متقارب]

وَأَسْلَمْتُ وَجْهِي لِمَنْ أَسْلَمْتُ لَهُ الْأَرْضُ يَحْمِلُ صَخْرًا تَقَالَا

^١ يقصر . Ms.

دحاها فلما رآها أستوتت على الماء أرسى عليها الجبالا
 وأسلت وجهي إن اسلتت له الثزن تحمل مذبا زلالا
 إذا هي شوتت الى بلدة اطاعت فصبت عليها سجبالا

فجعل يصفه بالصفات التي يُعجز عنها المخلوقون معرفة منه
 باستحالة فعل لا من فاعل وأذكرُ أتي سألتُ بعض
 الأعاجم بنواحي سنجار على نواحي المزاح والمهازلة إذ كنت
 أراه جلف الجفة ثقيل الهمجة ما الدليل على أن لك خالقًا
 قبل عجزى عن خلق نفسى فسكأتما ألقمتُ حجرًا وما شبهته
 إلا بمخير عامر بن عبد قيس إذ خرج عليه عثمان بن عفان رضى
 الله عنه وهو فى شملة اشمت اغير فى زى الأعراب فقال
 أين ربك يا اعرابي قال بالمرصاد فهال ذلك عثمان فارعد
 له ومن ذلك قول صرمة بن انس بن قيس قبل
 الإسلام [خفيف]

وله الراهب الحبيس تراه دهن يوثيس وكان نام بال
 وله هودت يهود وكانت كل دين وكل أمر فضال
 وله شمس النصارى وقاموا كل عيد لهم وكل احتفال

وله الرَّحْشُ فِي الْجِبَالِ تَرَاهُ فِي حِقَافٍ وَفِي ظِلَالِ الرَّمَالِ

(16 ٣) يعني أن من مخافته هُودت اليهود وحبست الرهبان
أنفسها في الصوامع ومن دلائله عرفت الوحوش منافعها
ومناكحها وليست بذات عقول مميزة وإنما يعرفه كل واحد
بمقدار فهمه وكيفية استدلاله وانشدني النهري بندي في
جامع البصرة [طويل]

وَلَوْ حَلَّ اقْطَارَ السَّمَاوَاتِ عَاقِلٌ أَوْ احْتَلَّ فِي أَقْصَى بِلَادٍ ثَبَاعِدُ
وَلَمْ يَرَ مَخْلُوقًا يَدُلُّ عَلَى هُدًى وَلَمْ يَأْتِهِ وَحْيٌ مِنَ اللَّهِ قَاصِدُ
وَلَمْ يَرَ إِلَّا نَفْسَهُ كَانَ خَلْقُهَا دَلِيلًا عَلَى بَارٍ لَهُ لَا يُعَانِدُ
دَلِيلًا عَلَى إِبْدَاعِهَا وَأَخْتِرَاعِهَا مُتِيرًا عَلَى مَرِّ الدَّهْرِ يُشَاهِدُ

وفي هذا المقدار مقنعٌ وبلاغ لمن ناصح نفسه وأعطى النصفة
وجانب الجحود والعمود ومن لم يجعل الله له نوراً فما له
من نورٍ وإذا صحَّ اثبات الباري ووجود الصانع فلننقل الآن في
صفاته

القول في جواب من يقول من هو وما هو وكيف هو

أقول ان السؤال عن المائبة والمنية والهوية محال من وجه
التفتيش عن ذاته لأن الإشارة الى هذه الاشياء تصورها في
الوهم ولا يتصور في الوهم غير محدود أو نظير محسوس وهذه
من صفات الحدث فيما أن اراد السؤال عن إثباته واثبات
صفاته فلا وذلك كقائل يزعم أنه قد ثبت عندي وجود
البارئ سبحانه فما هو فالجواب الصواب انه هو الاول
والآخر والظاهر والباطن القديم الخالق حتى يُعدُّ جميع أسمائه
وصفاته فإن زعم انه سأل عن هوية ذاته قيل غير
محسوسة ولا موهومة ولا معلومة بالإدراك والإحاطة فإن زعم
ان هذا من صفاته اللاشئية والبطلان فهذا من وساوس الجهل
وهذيان الخطل ويكلم في ايجاب الصنعة الصانع والفعل الفاعل
بما قد سبق ذكره فان طلب نظيراً أو شبيهاً بهذه الصفات
فهذا يكلفنا ان نتخذ إلهين^١ اثنين محسوساً وغير محسوس ثم
نشبه الغائب بالشاهد ليتحققه وما من إله إلا إله واحد
وليس يجب علم ما تيمناه لجهل ما جهلنا ألا ترى أننا اذا
آتينا شخصاً في السواد ولم نعلم ما هو ومن هو لم يجب ان

١ الامين .

يُبطل علنا في ذات الشخص بما خفى علينا من بعض هيئاته
 كذلك لما قامت الدلالة ان يستحيل وجود فعل لا من
 فاعل ثم وجدنا فعلاً لم نشاهد فاعله لم يجب ان يُبطل علنا
 البديهيّ بمجهنا وقد سُئل رسول الله صلعم عن هويته فنزل
الجواب في صفاته قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدُ اللهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ
يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ فأخبر أنه أحد لا كأحد
 وصمد لا كصمد لم يلد ولم يولد يعني الملائكة وسائر الناس
 من الخلائق الروحانيين بقوله ولم يكن له كفواً أحد
 فنفي النظير والشبيه عنه وقال الرسول عليه السلم فيما رُوِيَ
 لرجل من الاعراب سأله عنه هو الذي اذا مسك ضرتُ
 فدعوته أجابك واذا اصابك سنة فدعوته امطر السحاب
 وانبت النبات [١٥١٦٧] واذا ضلّت راحلتك بفلاة من
 الارض فدعوته ردها اليك فجعل يدلّ على ربه بدلالة
 فعله وشهادة الكتاب تُغني^٢ عن طلب الأسانيد لمثل هذه
 الاخبار بقول الله تعالى آمن يوجب المضطرّ اذا دعاه ويكشف

^١ Qor., sour. CXII.

^٢ Ms. يعني.

السورة وفي رواية المثيري عن ابي هريرة رضي الله عنه ان النبي صلعم [قال] ان الشيطان يأتي أحدكم فلا يزال يقول له مَنْ خَلَقَ هذا فتقول الله حتى يقول فمن خلق الله فاذا سمعتم ذلك فافزعوا الى سورة الإخلاص فقال ابو هريرة رضي الله عنه فينا انا قاعد إذ أتاني آتٍ فقال مَنْ خلق السماء فقلت الله قال فمن خلق الأرض قلتُ الله قال فمن خلق الخلق قلتُ الله قال فمن خلق الله فَعُمْتُ وقات صدق رسول الله صلعم قل هو الله احد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً احد ولهذا نهى عن التفكر فيه إذ لا مَطْلَع للوهم والفكر عليه من طلب ما لا سبيل اليه رجع باحد الامرين إما شاكاً وإما جاحداً والجحود والشك فيه كفر وقد قيل تفكروا في الخلق ولا تتفكروا في الخالق لأن الخلق يدلّ عليه والخالق لا يُدْرِك ولا أعلمُ أحدًا من أصناف الخلق والأُمّ إلّا وهو مُقَرَّرٌ بوجود شيء في الغائب خلاف الحاضر فن ذلك قول الفلاسفة الميولي وانه خلاف الاجرام العلوية والسفلية ومنهم من يقول بمحي ناطق لا يجوز عليه

* Qur., sour. XXVII, v. 63.

الموت وهو لم يشاهده حياً ناطقاً إلا ميتاً ومنهم من قال
بأن جواهر الافلاك من غير الطبائع الأربع وهو لم يشاهد
شيئاً من عين الطبائع ومن قال بمواضع من الأرض يبلغ
طول النهار بها اربعة وعشرين ساعة ومواضع يئيب الشمس عنها
سنة أشهر وهو لم يشاهدها ومن قال بأن النطفة تنقلب
علقة والعلقة تنقلب مضعفة ولم يشاهدها عياناً ومن قال
بأرض لا بتركب منها حيوان ولا نبات ومن قال من
الثنوية بنور خالص في القناب وظلمة خالصة غير مماسين
ولا ممتزجين وهو لم يشاهد جسمًا إلا مؤلفًا مركبًا في أشباه
لهذا يطول الكلام بذكرها حتى تعلم ان قول القائل
لا شيء غير ما يباينه^١ ولا شيء غاب عنه ألا كما يشاهده بحال
باطل وبهذ فأتانا نجد الحركة والسكون والاجتماع والافتراق
والفرح والحزن واللذة والكراهية والحب والبغض وغير
ذلك من كثير من الاعراض ولا يمكن صفتها بطول ولا لون
ولا عرض ولا ريح ولا طعم او صفة من الصفات ثم لم يجب
ابطالها لعدم صفتها وكذلك العقل والقهم والنفس والروح

^١ يباينه Ms.

والنوم لا شك أنها أشياء ثابتة ولها ذوات قائمة من الاعراض ثم لا يُحاط بكميتها ولا بكيفيتها غير وجودها فاذا كانت هذه الأشياء قُربها منا وتمكّنها فينا ونعجز عن الاحاطة بها ولم يجز انكارها لوجوهها وكيف بسببها ومُنشأها ومُقيها على مراتبها وكلّ صانع لا شك أعلى رتبةً من مصنوعاته وأرفع درجةً فان قال قائل سَوِّتَ بين صفات العقل والروح والنفس وسائر ما ذكرت وبين الباري الذي يدعونا اليه وتساوى الصفات يوجب تساوى الموصوفات فما ينكر ممن يزعم انه هو النفس أو العقل لا من الناس من يقول هو نفس [٢٠ 17 ٣] الخلائق ومنهم من يقول هو عقولهم قيل أنّما يجب تساوى الموصوفات إذا تساوت حدود الصفات فأما الألفاظ فمشتركة والمعاني مختلفة ألا ترى أنا نقول له هو ولغيره هو ونقول هو واحد ولغيره مما يتمييز من الأعداد واحد ونقول ذاته ولغيره من الحيوان والنبات ذواتها ونقول قال الله وفعل الله فقال فلان وفعل فلان لأنّ الألفاظ سبّاتٌ للمعاني لا يمكن العبارة إلا بها فاذا جئنا الى التفصيل قلنا فإل الإنسان بمجارحة وفعله ليس بمجارحة وفعله

الانسان بآلةٍ وفعله ليس بآلةٍ وفعل الانسان في زمان
ومكان وفعل الله قبل الزمان والمكان فهمل بقى بين
الفعلين من التشابه غير سمة اللفظ وهكذا سائر الأوصاف
ثم من الدلائل على أن الباري جل جلاله ليس بالنفس
ولا بالعقل ولا بالروح كما ذهب اليه من ذهب ان الأنفس
متميزة قد فرقت بينها المياكل والاشخاص والتجزئ تفرق
والتفرق عارض ولا متفرق ألا ومتوهم تجتمع والتجمع عارض
وقد يعيش عائش ويموت مائت ولا يخلو^١ من ان تبطل
نفس بموت صاحبها أو ترجع الى كائنها او تنتقل الى غيره
والبطلان والرجوع كلها اعراض وقد أوضحنا الدلالة على
حدث الاعراض وهكذا القول في الأرواح على السواء
وكذلك تفاوت القول واختلافها وما يعرض فيها من
الحلل والنقص والسهو والغلط كلها من دليل الحدث وما
العقل في قصور المعرفة إلا بمنزلة سَمْع الأذن وبصر العين وشبه
الأنف كلها موجودة غير معلومة الكيفية والكمية فان
قيل أنه هوية وإن لم تعلمها قيل الهوية إضافة هو الى

^١ محلى Ms.

معناه* وهو إشارة فإما معنى المويّة فالذات وای لعمري له ذات عالمة سمیة بصيرة قادرة حية غير معلومة كيفيتها فإن قيل فهو عالم بذاته قيل له ليس هو غير ذاته فتكون معلومة له غير علمه ويكون له من ذاته علم ومعلوم وقد قال قوم انه هو الطبايع ومنه حدث العالم وتركبه فالطبايع أشياء متنافرة متضادة مقهورة مجبورة وهذه هي علامات الحدث ثم هي غير حية ولا عالمة ولا مختارة ولا قادرة فيصح منها هذه الافعال المحسنة المثقنة فان أطلقوا عليها هذه الصفات فهي الباري بزعمهم وإنما غلطوا في التسمية وإن آباؤنا في الفعل لا يصح إلا بمن هذه صفاته واختلف أهل الإسلام في أشياء من هذا الباب فأكثر كثير منهم القول بالأينية والمائية ولا يخلون من أن يكونا آياه أو غيره أو بعضه فإن كانا غيره أو بعضه انتقض التوحيد وإن كانا آياه فهو إذا أشياء كثيرة وقال ضرار بن عمرو وابو حنيفة رضى الله عنهما له أينية ومائية لأنه لا يكون شئ موجود إلا وله أينية ومائية وعلّة الأينية غير علّة

* معناها. Corr. marg., ms.

المائية وذلك انك تسمع الصوت فتعلم ان له مصوتاً
 وتجهل ما هو ثم تراه بعد ذلك فتعلم ما هو فليكن ما هو
 غير علمك بأينيته ومعنى المائية عندهما انه يعلم نفسه
 بالشاهدة لا بدليل كما نعلم واختلف المشبهة فزعمت
 النصارى انه جوهر قديم وزعم هشام بن الحكم وابو جعفر
 الأحول الملقب بشيطان الطاق انه جسم محدود متناهي وقال
 هشام هو جسم مُصنّت له قدر من الاقدار من العَرْض
 كانه [٣١٧ ٣] سبيكة تلالاً كالذرة من جميع اطرافها واحدة
 ليس بجوف ولا متخلخل وحكي عن مقاتل انه قال
 على صورة إنسان لحم ودم وسئل هشام كيف مبرودك فأوقد
 سراجاً وقال هكذا إلا أنه لا ذبالة له وقال قومٌ جسم
 فضاء مكان الاشياء كلها واكبر من كل شيء وقال قومٌ هو
 الشمس بينها وزعم قومٌ انه المسيح وقال قومٌ هو على بن
 ابي طالب وذهب قومٌ إلى اشياء كثيرة متباعدة مختلفة القوى
 والفعل إلا ان بعضها متصل ببعض وبعضها أعلى من بعض
 فأعلاها الباري سبحانه ويزعمون انه لا جسم له ولا صفة
 ولا يُعرف ولا يُعلم ولا يجوز أن نُذكر ودونه العقل

ودون العقل النفس ودون النفس الهيولى ودون الهيولى الأثير
ثم الطباع ويرون كل حركة أو قوة حساسة أو تامة منه وسيّر
بك النقض عليهم مجملًا في باب التوحيد ان شاء الله
وأحسن ما أختاره في هذا الفصل ألا يخوض الإنسان في شئ
منه إلا بإثبات الذات بدلائل الصفات فأما ما سوى ذلك
فيكت عنه وليقتد نبي الله موسى حيث قال له الكافر
وما رب العالمين قال رب السموات والأرض وما بينهما ان
كنتم موقنين هذا طريق السلامة فإن سأل بعض من لا يعلم
كيف هو وأين هو وكه هو فإن كيف يوجب التشبيه ولا شبه
له وكه استخبار عن المدد وهو واحد واين طلب المكان
وليس بجسم فيشئل الأماكن،

القول في أن الباري واحد لا غير أقول أنه لما صح وجود
الباري بالدلائل العقلية وجب ان يُنظر أو اُحد هو أم
أكثر لأن الفعل قد يفعله الواحد والاثنان وقد
يشترك الجماعة في بناء دار ورفع منار ونظرنا فاذا الدلائل
على وحدانيته بإدّاء الدلائل على إثباته وذلك أنه

¹ Qor., sour. XXVI, v. 22-23.

لو كانا اثنين لم يخلُ من أن يكونا متساويين في
القوة والشدة والعلم والإرادة والقدم والمشيئة حتى
لا يُفرق بينهما بصفة من الصفات فإن كانا كذلك فهذه
صفة الواحد لا يثبت في المقول غيره أو يكون احدهما أقدم
من الآخر وأقدر فألا إله إذا القديم القادر إذ العاجز
الحادث لا يستحق الإلهية أو يكونا معاً متقاومين متضادين
فإذن لا يجوز وجود خلقٍ ولا أمرٍ لأنه لو كانا كذلك
لم يخلق أحدهما خلقاً إلا أفناه الآخر ولم يُحي حياً إلا
أماته الآخر فلما وجدنا الامر بخلافه علمنا أنه واحد
قدير وهذا ضمن قول الله تعالى لو كان فيهما إلهة لفسدنا
فسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ^١ وقال قُلْ لو كان
معه إلهة كما يقولون إذا لابتنوا إلى ذي العرش سُبُلًا^٢
ولو كانا اثنين لكانا قادرين على التمانع والتقاوم أو
عاجزين عن ذلك فإن كانا قادرين لم يتصل تدبير ولم
يتم وجود خلقٍ وإن كانا عاجزين فوجود الخلق عن العاجز

^١ Qor., sour. XXI, v. 22.

^٢ Qor., sour. XVII, v. 44. ليس سبيلًا.

مُحالٌ أو كان أحدهما عاجزًا والآخر قادرًا فهو كما قلناه آتفاً
ولو جاز القول باثنين لوجود الشيء وضده لجاز القول بحد
ايعان الموجودات لاختلاف أجناسها وأنواعها وأنها تمام القدرة
جوازها على الشيء وضده ففاعل الشيء إذا كان عاجزاً عن
ضده غير كامل القدرة والبارئ عز وجل دل على كمال قدرته
بإيجاد الشيء وضده ومن هاهنا تفرقت المحسوس والثبوتية
والذهرية وسائر فرق الضلالة فزعمت المحسوس بأن فاعل
الخير لا يفعل الشر وأن الشرير لا يفعل الخير لأن الجنس
الواحد لا يقع منه إلا الفعل الواحد كالنار لا يكون منها إلا
التسخين والتلج لا يكون منه إلا التبريد [٣١٨ ٣] فسموا الإله
الخير هرمز والشرير الحبيث آهرمن وأضافوا كل حُسنٍ وجميل
وفعل حميد إلى الخير وكل قبيح وذميمة إلى الشرير الحبيث
المضاد له ثم اختلفوا بعد إجماعهم على أن الخير منها قديم
لم يزل وزعم بعضهم أن الشرير قديم أيضاً كقول الثبوتية
بقدم الكونيين من النور والظلمة وزعمت طائفة أخرى أنه
حدث ثم اختلف الذين قالوا بمحدث الشرير الحبيث كيف

كان حدوثه فزعت فرقة منهم أن القديم الخير تفكّر
فكرة رذلة فاسدة فحدث من فكرته هذا الحبيث الشريـر
وهذا نقض أصلهم بأن جوهر القديم جوهرٌ خير لا يشوبه
شئ من الشرور والآفات وزعم آخرون أن الخير هفا هفوة
فحدث منه هذا الضدّ بلا إرادة منه ولا مشيئة فحملوا الخير كالنود
الجاهل الذي لا يملك نفسه وأمره وقد أقرّ هذان الصنفان
بوقوع الشرّ من الخير المحمود ووجود جنسَيْن مختلفَيْن منه
فما حاجتها الى إثبات فاعلَيْن مختلفَيْن فإذا جاز وقوع الشرّ
من هذا الخير المحمود فما يؤمنهم وقوع الخير من هذا الشرير
المذموم وزعت فرقة ثالثة منهم انه لا يدري كيف
حدث هذا الشرير المنازع^١ للخير القديم فافصحوا بالخيرة
ونادوا على انفسهم بالشبهة وبمّ ينفصلون ممّن يعارضهم إذا
جاز حدوث شرير فاعل للشرّ لِمَ لَمْ يُجْزْ حدوث خير فاعل
للخير حتّى يكون خالقهم اثنين حادثين وقد زعموا جميعاً أن هذا
الشرير كايده الخير ونازعه الأمر وجمع الخير جنوده من
النور والشرير جنوده من أبيض الظلمة فاقنتلا مدةً من

^١ والمنازع. Ms.

الدهر طويلة ثم تَوَسَّطت الملائكة بينها ودَعَوَها الى
 الهدنة والموادعة الى ان يضع بينها مدّة سبعة آلاف سنة وهي
 مدّة قوام العالم فاصطلحا على أن يكون أكثر الأمر والحكم
 والتلبة في هذه المدّة المضروبة للجوهر الشّرير فإذا انقضت
 المدّة افضى الأمر الى القديم الخير فأخذ الشرير يستوثق منه
 إلى أن ينقضى عالم الشرّ والفتنة والفساد ويصير الحكم الى
 الخير المحض وهذا ظاهر الانتقاض والاختلاف وكيف
 تطننّ النفس الى عبادة عاجز منلوب على أمر وكيف يؤمن
 الشرير الخبيث على الوفاء بالمهود والمواثيق وهل هي منه
 إلا أفضل الخير واتمّ الاحسان فقد وُجد من جوهره الخير
 وهو من غير جنسه كما وُجد من جوهر الخير العجز والتلبة وهو
 شرّ وليس من جنسه واختلفت الثنوية فزعم ماني وابن
 ابي العوجاء انّ النور خالق الخير والظلمة خالق الشرّ وأنها
 قديمان حيّان حسّاسان وأنّ فعلها في الخلق اجتماعها وامتزاجها
 بعد أن لم يكونا ممتزجين فحدث هذا العالم من نفس الامتزاج
 فأقرا بمحدث حدث في القديم من غير سبب أوجبه ولا إرادة
 منه فضاهايا المحيوس في قولهم أنّ الخير حدث منه الشرّ بلا

إرادة منه ولا مشيئة وزعم ديصان ان النور حي والظلمة
موات فأحال أشد الإحالة إذ أجاز من الموات الفعل في
خلق الشرور والآفات فناقضوا بأجمعهم في نفس الامتراج
لأنه لو كان بدأبه النور فقد أساء في مخالطة الظلام
وان كان بدوه من الظلام فقد غلب النور وأفسده وعندهم
أن النور لا يكون منه إلا الخير والظلمة لا يكون منها إلا الشر
فكل خير منسوب الى النور وكل شر منسوب الى الظلمة
واكتفى من جوابهم بما يومض عن مناقضاتهم كفاء ما
يشاكل [٢١٨ ٣] كتابنا هذا بعد أن نستقصيه في كتاب
المدلة ونشج القول فيه بمشيئة الله وقد سألمهم جعفر بن
حرب عن مسألة قليلة الحروف عظيمة الخطر فقال لهم
أخبرونا عن رجل قتل رجلاً ظلماً فُسِّل أقتلته قال
نعم من القائل نعم قالوا النور قال فقد كذب النور
والنور عندكم لا يفعل الشر قالوا فهو الظلمة قال فقد صدقت
والظلمة لا تفعل الخير وقال هل اعتذر أحد من شيء قط
قالوا نعم والاعتذار حسن جميل قال فمن المُنْتَذِر قالوا

النور قال فصنع شيئاً يجب الاعتذار منه قالوا فالظلمة
قال فقد احسنت اذا اعتذرت فقطمهم واستعظم قوم
القول بايجاد اعيان لا من سابق فقالوا بقدم الباري وشئ
قديم معه أم الأشياء وآخر الهويات ومادة العالم والأصل
الذى حدثت منه الأجسام والاشخاص فأنه جوهر بسيط
طار من الأعراض ثم احدث الصانع فيه أعراضاً من الحركة
والسكون والاجتماع والافتراق فتركب من حركاته العالم بأجزائه
فهولاء قد أوجبا شئين قديمين مختلفين الى الذات والصفة
احدهما حي والآخر ميت ودخلوا في مذاهب الثنوية وناقضوا
أصلهم بأن الباري لم يزل يصنع فيه فابطلوا قولهم بأنه علّة
والعلّة لا تفارق الملول وجملة القول في الاعتقاد في المدوم
والموجود أن الموجود ما يُعقل أو يعلم أو يحس أو يُعرف أو
يصح منه تأثير أو فيه أو معه أو به فاذا خلا من هذه المعاني
فهو المدوم ولولا ذلك لكان كيف يتقد المتقد المدوم من
الموجود فإن قيل فقد اعتقدتم القديم أفعدم هو وانتم
لا تصفونه بشئ من الحدوث والأعراض قيل افتسؤن انتم
بينه وبين الهيولى في المعنى أم لا وانتم لا تصفونها بشئ من

الحدود والأعراض ونحن إنما نعتقد وجود البارئ بدلائل
صنعه وآثاره وليس يصح الهيولى اثر ويوجب اعتقاده موجوداً
بل لو وصفتوه بافعال خاصية وجب اعتقاده ومزيد
ايضاً لهذه المسئلة في فصل ابتداء الخلق ان شاء الله
تعالى،

القول بابطال التشبيه اقول أن التشبيه يوجب الاتفاق في
الحكم والمعنى على قدر الواقع من الاشتباه وذلك يزعم
أن حد الجسم انه طويل عريض عميق يلزمه ان يقتضى
على كل ذى طول وعرض وعمق بالتجسيم لأن الاشتباه
بينها واقع في جميع الوجوه فاذا قال جسم لا كالأجسام
وأراد أن يبطل الحدود المضروبة فيه فكأنه يقول جسم
لا جسم ويلزمه أن يحكم على كل ذى طول بمحد من حدود
الجسم لأنه من حيث استحق بعض أوصافه استحق الحكومة
به كما أنه إذا حد العرض بأنه لا يقوم بنفسه لزمه القول
بأن كل ما لا يقوم بنفسه فهو عرض فان قيل أليس قلت انه
شئ لا كالأشياء فما تنكرون من يقول انه جسم لا كالأجسام أو
له وجه لا كالوجوه وجارحة لا كالجوارح فإن الشئ اسم عام

للوجود والمدوم والقديم والمُحدَث وحده ما قد ذكرناه في
 موضعه فاذا سمع السامع به لم يذهب به الى جسم دون
 عرض ولا الى قديم دون مُحدَث حتى يفرق به الى التفسير
 ما يدل [٣١٩ ٣٢] على المراد فاذا سمع بالجسم لم يعقل منه
 الا المؤلف المركب فلذلك لم يُجزِ إطلاق أسماء المُحدَثات
 عليه لأن استواء أحكام المثلين من حيث تماثلا وإلى هذا المعنى
 ذهب الناشئ في قوله [بسيط]

لو كان لله شبه من خلقته كانت دلالة من خلقه فيه
 قد كان مقتضيا من نشو صانه ما يقتضى النشو من آثار ناشيه
 لكنه جل عن أوهام واصفه فالحسن يُعديمه والعقل يُبدييه

الفصل الثالث

في صفاته واسمائه وكيف يجب أن يُعتقد

القول والفعل منه سبحانه

أقول أنه إذا ثبت وجود البارئ عز وجل وثبت وحدانيته
بالدلائل التي قامت وجب أن يُنظر في صفاته وما يليق
به أن يضاف إليه ويُعرف به فنظرنا فاذا من صفاته
خاص وعام فالخاص ما لا يجوز أن يُوصف بضده كالحياة
والعلم والقدرة ولا أن يوصف بالقدرة عليها ألا ترى أنه
لا يصح القول بأنه يقدر ان يحيا او يقدر ان يعلم او يقدر ان
يقدر ولا القول بأنه يعلم كذا ولا يعلم كذا أو يقدر على كذا ولا
يقدر على كذا لأن ما كان موصوفاً بنفسه ثم وُصف بضدها كان
الضد راجعاً الى نفسه ولا تستقيم الالهية بنير حياة وقدرة
وعلم وهذه تسمى صفات الذات والعاء ما يجوز ان يُوصف

بضدّها ويوصف بالقدرة عليها كالإزادة والرزق والخلق والرحمة
وهي صفات الفعل والمسلين ومن قبلهم في هذا الفصل تشاجر
كثير واختلاف يدعو الى ضلال من خالف صاحبه في
ذلك فقال بعض الناس لا اسم للبارئ ولا صفة ولا ذكر
وأما ينبغي ان ينسب كلّ عقل ورحمة وفضل وجود إليه بمعرفة
القلوب أنه منه وقالت المعتزلة أن صفات الله أقوال
وكتابات وهي كآها من قول القائلين ووصف الواصفين
وقال قوم لا معنى لصفات الفعل وأما المعنى لصفات الذات
والصفة ما قامت في الموصوف ولا تباينه ولا يجوز أن يوجد
الموصوف مع عدمها قالوا فلم يزل الله خالقاً بارئاً رازقاً
مريداً متكاملاً رحياً حتى أتوا على آخر صفاته وفرق ناس
منهم بين الوصف والصفة فجهلوا العفة ما يلاصق الموصوف
كالمرض للجوهر والوصف قول الواصف تلك الصفة فصفات
الله غير مخلوقة لأنه بها موصوف وهو غير مخلوق وهو
واحد بصفاته كآها وصفاته لا هو ولا بعضه ولا غيره
واحتجوا بأنها ليست هو ولو كانت هو لكان صفة والدُّعي
فقيل يا علم يا قدرة يا سمع يا بصر ولما قام بذاته

كما أن الصفات لا تقوم بانفسها ولا هي غيره لأن حد
المتغيرين جواز وجود أحدهما مع عدم الآخر [٣١ 19 ٢٠] فلو كان
علمه وقدرته وسمه وبصره غيره لجاز عدم العلم والقدرة
وغيرها مع وجود الباري فيحصل بلا علم ولا قدرة ولا هي
بعضه لأن التبعيض من دلائل الحدث والله لا يُوصف
بالاباض والأجزاء. وقالت المعتزلة في صفات الذات
أنها ليست من غير الذات شيئاً فذات الباري عالمة حكيمة
قادرة سميعة بصيرة وهو عالم بذاته قادر بذاته سميع بذاته
بصير بذاته وأما الصفات ما وصف الله به نفسه أو وصفه
العباد بها قالوا ولا يجوز ان يكون علمه وقدرته هو ولا غيره
لأنها لو كانت هو لكان اشياء كثيرة مختلفة ولعبدت
ودُعيت فلو كانت غيره لكانت قديماً كثيرة وإن لم ينزل
مع الباري وإن كانت محدثة فكان قبل احداث العلم غير
عالم وقبل احداث القدرة غير قادر وكذلك سائر الصفات
فثبت أن ذاته عالمة قادرة إن كان له علم به يعلم وقدرة
بها يقدر ولم يخل من أن يكون هي هو أو غيره وقالوا
لا فضل بين من زعم انه هو أو غيره او بعضه قالوا وقول
٧

القائل لا هو نفى وقوله لا غيره رجوع عن ذلك
النفى وإثبات له فهؤلاء يزعمون أنه لو كان له علم لكان
مع غيره ومخالفوهم يزعمون ان لو لم يكن له علم لكان
جاهلاً قالوا وهو موصوف بالقدّم والقدرة والعلم فلو كان
عالمًا بنفسه قديماً لما جاز أن يُوصَف بنفسه كما لا يُصَوَّر
المصوَّر بنفسه ولا يكتب المكتوب بنفسه ولا يشتم المشتوم
بنفسه وإنما يشتم المشتوم بشتم ويصوَّر المصوَّر بصورة فصَحَّ أنه
موصوف بصفات والصفات يشتقُّ منها الأسمى فالقديم من
القدّم والقديم من القدرة والعالم من العلم كما أن الحرة
للأحر والصفرة صفة للأصفر ثم هولا هي ولا غيرها قالوا
ولو لم يشاهد عالمًا الا بلم ولا قادراً الا بقدرة فكذلك
ما غاب عنا فبقال لهم مخالفوهم أليس الحرة والصفرة
عرضان في الأحمر والأصفر أو ليس العالم مثا بلم علمه عارض
فيه فهل الى تمثيل الباري بمجسم ذي عرض وبم يفصلون
تمن يزعم انه جسم أو عرض لوجود الفعل منه لأنه لا يظهر
الفعل فيما يشاهده إلا من جسم حدث فهل يجب علينا القضاء

* كذا في الاصل. Ms. Lacune.

بأنه جسم ذو أعراض وأبماض إذا لم نشاهد الفعل إلا من
 جسم ذى أعراض وأبماض كذلك لا يجب القضاء بآته
 عالم يعلم إذا لم نشاهد عالماً إلا يعلم فإن قيل إذا أُجزّت عالماً
 لا يعلم فَأَجْزُ جِسمًا لا بصفات الجسم قيل لو لزم ذا
 للزمك هو بيته في إجازتك عالماً يعلم لا هو ولا غيره ولا
 بعضه وأما قولهم ان المصور لا يَصوّر بنفسه والمكتوب
 لا يُكْتَبُ بنفسه وإنما يَصوّر بصورة ويكتب بكتابة
 والصورة والكتابة لا شك غيرهما وقولهم من الصفات يشتق
 الأسمى فالصفات هي الأسمى بينها ليست أنها أشياء كاملة
 فيه كالأعراض في الجواهر ولكنّه إذا أبدى فعلاً من أفعاله
 تسمّى به أو سمّاه العباد به والكلام يطول في هذا ويمتدّ
 ومتى عمل الناظر فكره في هذا المقدار [٢٠ ٢٣] تبين له
 وجه الصواب بمحول الله وقوته

القول في الأسمى اقول أن اختلافهم في الأسمى كاختلافهم في
 الصفات وعامة المعتزلة على أن الأسمى هي الصفات وأن الاسم
 غير المسمّى وهو قول المسمّى وحدّ الاسم ما دلّ على المعنى وقالت
 فرقة أن الاسم والمسمّى واحدٌ واحتجوا بقوله تعالى سَبَّحَ اسْمَ

رَبِّكَ الْأَعْلَى فلو كان الاسم غيره لكان قد أمر بمباداة غيره
 وقد قال سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فدل على
 أن اسم الله هو الله وقال اذْكُرُوا اللَّهَ ثم قال في موضع
وَأَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ وناقضهم مخالفوهم بأن الاسم لو كان
 المسمى لكان إذا غُيِّرَ تَغَيَّرَ المسمى وإذا أُحْرِقَ أَوْ غُرِقَ أَوْ غُرِقَ
 أثر ذلك كله في المسمى وكلُّ مسمى سابق اسمه وجائز
 تبدل الاسم عليه والاسماءُ مختلفة كثيرة والمسمى واحد غير
مختلف وقد قال الله عز وجل وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى
فَادْعُوهُ بِهَا وما هو له فهو به يُدعى وهو غيره لا شك
 وأجمت الأمة أنه غير جائز أن يقال له يا حسن على
 أن يكون حسنة في ذاته وإنما يُوصف بحسن القول والفعل
 وقد أُخِرَ أن له أسماء حسنة في غاية الحسن ونهايته
 فُقِلَ أنه غير اسمائه واسماؤه معلومة محدودة معدودة الحروف
 ولا يجوز إطلاق شيء من ذلك على الباري سبحانه وتعالى
 واسماؤه تختلف باختلاف اللغات فكما أن لغة الفرس
 هي لغة العرب ولغة العرب غير لغة الحبش لقول الله
تعالى وَأَخْتِلافُ السِّتِّكُمْ وَاللَّوَانِكُمْ كذلك التسمية بها

مختلفة فاذا اختلف الاسم وهو واسمه واحد فذاك
الاختلاف شائع فيه لا شك اللهم إلا أن يكر أن لا يكون له
غير اسم واحد وأن لا يختلف ذلك الاسم باختلاف
اللغات فهذا جاحد ضرورة لا غير وقوله تعالى سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ
الْأَعْلَى أى اذكره باسمه وصفته لأنه غير ممكن ذكر
شئ إلا باسمه ثم قوله سَبِّحْ لَآءِهِ واذكروا الله واذكر
رَبِّكَ على ما يتعارفه الناس ان الشئ اذا لم يكن ذكراً في
نفسه لم يكن ذكره إلا باسمه وقول القائل الله معلوم
انه اسم عربى لمعرفة معناه واشتقاقه وغير جائز القول بأن
الله عربى او عجمى فإن قال قائل اذا كان الاسماء والصفات
من أقوال المباد وكناياتهم فأم يكن له اسم ولا صفة قبل
الخلق وكان عطلاً غفلاً الى أن سماه المباد قيل قد قلنا أن
صفاته على وجهين صفة ذات وصفة فعل فما كان من صفات
الذات لم يزل بها موصوفاً وان لم يصفه بها واصفه كما أنه
لم يزل واجداً فرداً وان لم يكن خلق يوحده وعالماً وان لم يكن
المعلوم موجوداً وقادراً وقديماً فاما القول بأنه لم يزل
مدعواً أو معبوداً أو مشكوراً فالشاكِر والمابد والداعى

ليسوا لم يزالوا وكذلك القول بأنه لم يزل خالقًا رازقًا يقتضى ازلية المخلوق والمرزوق اللهم إلا على جهة القدرة على الخلق والرزق فإنه يستقيم له ذلك وكذلك لو قال لم يزل سميعًا بصيرًا على معنى سَيَّبَصْرٌ وَسَيَسَّعٌ وأجمع المسلمون أن الله حيّ قادر قديم سميع بصير واحد فرد عالم حكيم متكلم جواد فاعل مختار موجود رحيم عدل متفضل غني واختلفوا في تفصيل هذه الصفات وعللها فزعمت طائفة أنه عالم لأن له علمًا وزعم آخرون أنه عالم بذاته لأنه يدرك الأشياء كما هي وقد تقدم هُججُ الفريقين مجملًا وكذلك قولهم في القِدَمِ والقدرة فن أبي^١ القول بأن حدّ القديم والقادر أن يكون له قِدَمٌ وقُدرةٌ قال حدّ القديم الموجود لا إلى أولٍ وحدّ القادر الذي لا يمتنع الفعل عليه باختياره وأجمع هؤلاء أنه موجود [٢٠٢٠] بينه وذاته ولا يُوجد لأنه لو كان موجودًا بوجود لم يخلُ ذلك الوجود من أن يكون موجودًا أو ليس بموجود فإن كان غير موجود فقد

^١ هجج. Ms.

^٢ الى. Ms.

دخل في باب العدم وإن كان موجودًا فقد وجب أن يُوجد
بوجود آخر إلى ما لا نهاية والقول بما ليس له نهاية يؤدي
إلى قول أهل الدهر وقالت طائفة أنه حيٌ بحياة
عالمٍ بلم وزعم آخرون أن معنى الحي وجود الأفعال منه على
اتفاق واتساق واختلفوا في ذاته ألها نهاية أم لا فقال
أكثرهم أنه غير متناهٍ لأنه لا يجسم ولا عرض ولا حد له
فيقتضى النهاية وهو مبدع النهايات والحدود وزعم هشام بن
حكم أنه متناهٍ وكذلك يلزم كل مجسم وقد قال
أصحاب القضاء أنه غير متناهي الذات واختلفوا أذاته
مرئية أم غير مرئية فن قال بالتشبيه أو رأى الرؤية
الملم قال هو مرئى كما هو موجود معلوم ومن أبى ذلك
قال غير مرئى كما هو غير محسوس ولا ملموس بقى الاختلاف
في التوفيق بين الرؤية والملم واللمس والتفريق بينها
واختلفوا في الكلام فن قال هو من صفات الذات قال
غير مُحدث ولا مخلوق لأن الله لم يزل متكلمًا بكلام لا هو هو
ولا هو غيره ولا بهضه ومن قال من صفات الفعل قال هو
مُحدث لأن الكلام يقتضى متكلمًا واختلفوا في الإرادة

بجسب اختلافهم فى الكلام واختلفوا فى المكان فقال اكثرهم
انه بكلّ مكان حافظاً مدبراً وعالماً وقادراً وليست ذاته بجسم
فيشغل الاماكن ولا يبرص فيجلى الاجسام ومن كان هذه الصفة
فغير محتاج الى المكان وقال هشام بن الحكم والمشية انه
فى كلّ مكان ذو مكان وذلك مُطرّد على أصله لما يراه جسماً
وقال قوم انه فى السماء فوق العرش بذاته بلا نهاية
لا يكون الشئ على الشئ بالماسة والاضلال وزعم ابن
كلاب انه على العرش لا فى مكان واذا أجازوا أن يخلق الله
جسماً لا فى مكان وأن يُقيم العالم لا فى مكان فما ينكرون من
كونه لا فى مكان وليس هو بجسم ولا عرض واختلفوا فى العلم
فقال قوم عالم بما كان قبل ان كان وبما يكون قبل ان يكون
ولا يجوز أن يخفى عليه شئٌ إلا بأنه استفاد علماً او أحدثه
لنفسه بل ذاته متنتية عالمة وزعم قوم من الإمامية أن الله
لا يعلم ما هو كائن حتى يكون قالوا ولو كان يعلم أن من
يخلقه يكفر به ويمصيه ويؤذيه لما خلقه وأجازوا فسح الخبر
والبداء وأول من أبدع هذا الرأى فى هذه الأمة المختار بن
ابى عميد كان يزعم أنه يعلم ما يحدث من جهة الوحي فيغير

أصحابه بكوائن فإن اتفقت فهو ما أراد وإن خالف قد ابدأ
لربكم وكان جهم بن صفوان ينفي الصفات كلها عن الله
سبحانه وينكر القول بأنه شيء زعم فراراً من التشبيه ويقول
علم الله محدث وجملة الرد على هؤلاء أن الجاهل منقوص
ومستحق المذمة لا يستحق الإلهية وأجاز المعتزلة كون ما علم
الله انه لا يكون لأن علم الله ليس بعلة ككون الشيء
ولا حامل للعلوم على الكون كما أنه لم يزل عالماً بخلقه العالم
قبل خلقه ثم لم يُجز القول بأن علمه علة الخلق وحامل له
على إيجاده قالوا ومما علم الله أنه لا يكون أمور علم أنها
لا يكون لاستحالة كونها [fol. 21 r] ككون إله معه أو كون
شريك أو كون غالب يقبله أو كون نهاية وانتقضاء له ومنها
أمور علم أنها لا تكون لاستحالة كونها فلا يجوز كونها بحال
قالوا وغير جائز أن يأمر عبداً بما يعلم أنه لا يكون منه ما
يأمره به ولا يقدر عليه لاستحالاته أو لمجزه وإنما يجوز الأمر
لمن علم انه قادر على الفعل لأن القدرة هي التي تقتضى
التكليف لا العلم وقال مخالفوهم لا يجوز كون خلاف ما
علم الله ويجوز الأمر بخلاف ما علم لأنه لو جاز كون خلاف

ما علم كان عاجزاً جاهلاً وهذه هي مناظرة بين الفريقين مليحة
 مُفيدة قالوا لهم أليس في قولكم ان الله لم يزل عالماً بأن
 فرعون لا يؤمن قالوا بلى قالوا فكان فرعون يقدر ان يؤمن
 وقد علم الله أنه لا يؤمن قالوا نعم قالوا فكان فرعون
 يقدر على إبطال علم الله وتجهيله قالوا لو علم الله ان فرعون
 لا يقدر ان يؤمن كما علم انه لا يؤمن ثم قلنا انه آمن أو يؤمن
 لكننا مُبطلين مجهلين ولكننا قلنا علم الله انه لا يؤمن وعلم انه
 يقدر ان لا يؤمن ولم يؤمن فلم تكن مُبطلين ولا مجهلين ثم قلبوا
 عليهم السؤال فقالوا أليس الله عالماً بأنه يقيم القيامة في وقتها
 وهو القادر على أن لا يقيمها قالوا بلى قالوا فهل يجوز القول
 بأن الله قادر على إبطال [علمه] علمه وتجهيل نفسه اذا كان
 قادراً على أن لا يفعل ما علم انه يفعله وعلى ان يفعل ما علم
 انه لا يفعله قالوا وليس علم الله أن فرعون لا يؤمن وأمره
 بأن يؤمن فهل أمره بتجهيل علم الله فيه وإختلافوا في جواز
 وصف الله بالقدرة على المبال كإدخال العالم في جوزة او
 بيضة فقال الجمهور من اهل العلم لا يجوز ذلك لأنه يقتضى
 العلم مقدوراً كما يقتضى العلم معلوماً فكل ما هو غير مقدور

عليه محال إجازة القدرة عليه وزعم بعضهم أنه قادر عليه
 واختلفوا في وصف الله تعالى بالقدرة على الظلم والجور فأحاله
 قوم لأن ذلك مذموم لا يفعل إلا عن تقص أو حاجة ولو جاز
 ذلك لم يكن مأمومًا ان يقع ولجاز وصفه بالقدرة على الجهل
 والجهز وكان أبو هذيل يقول هو قادر على ذلك وإمكن
 لا يفعله لرحمته وحكمته وليس يفعل الظلم والكذب غير مقدور
 عليه فيكون محالًا واختلفوا في قدرة الله تعالى هل هي علم الله
 أم غيره وكذلك الحيرة فالقدم وسائر صفات الذات وزعمت
 طائفة أن علم الله ليس قدرته ولا غيرها لأنه لو كان العلم
 والقدرة لكان ما علم فقد قدر عليه وهو يعلم نفسه ولا يصلح
 القول بأنه يقدر على نفسه ولو كان علمه غير قدرته لكن يجوز
 وجود أحدهما مع عدم الآخر ولو جاز هذا لجاز أن يكون
 البارئ في حالٍ عالمًا غير قادرٍ أو قادرًا غير عالم وزعم
 داود بن علي أن علمه غير قدرته وأما المعتزلة فليس من قولهم
 أن له علمًا وقدرةً حتى يلزمهم التفصيل بينهما واختلفوا في
 التعديل والتجويز من خلقه أفعال العباد وماهم يكتسبوه من
 المعاصي والآثم وقضائه إياها عليهم وإرادته منهم وعقوبته لهم

عليها بعد أن أوجدها منهم فقال قوم كل ذلك منه وفعله
وهو عدل وحكمة لأن الخلق خلقه والأمر أمره لا يكون منه
ظلم ولا جور ولو جاز حدوث حادث بغير مراده أو مشيئته
وإيجاده لكان عاجزاً مغلوباً وقال آخرون لو كان كما يزعمون
لما كان الخلق ملومين ولا مفايقين ولا من يفعل بهم هذا
حكيمًا. ولا عالمًا [١٥٢١ ٤٣] ولا رحيماً وهذا من باب الحيز
والقدر والاختلاف فيه قائم مذ يُجد في العالم حيّان ناطقان
ولا يجوز غير ذلك لتكافئ الدلالة وأعدل الأمور أوساطها
فقد قيل الناظر في القدر كالناظر في عين الشمس لا يزداد على
طول النظر إلا حيرةً ودهشاً ومن طاوعته نفسه بالإسالك
عن الخوض فيه والاقْتصار على ما في الكتاب رجوت ان يكون
من الفائزين

الفصل الرابع

في تثبيت الرسالة والشجَاب النبوة

أقول أن منكرى الرُّسل صنفان أحدهما المُطلقة الذين ينكرون إثبات البارئ سبحانه فلا وجه للكلام معهم إلا بعد إقرارهم بالتوحيد والثاني البراهمة اقروا بالصانع وانكروا الرسالة واحتجوا بأن الرسول لا يأتي إلا بما في العقل او بخلافه فإن كان يأتي بموجب العقل فما في العقل كافٍ مما يجب لله تعالى على العباد من معرفته وتوحيده وشكره وعبادته واستعمال الحُسن واستقبح القبيح وان كان يأتي بخلافه فلا وجه لقبوله لأن الخطاب وقع على نوى العقول والقضية لها والتمييز اودعتها فاجابهم المسلمون بأن الرسول أبدًا لا يأتي إلا بما في العقل إيجابه أو تجويزه وحاشا لله ولرسوله أن يأتوا بخلاف ما في العقول ولكن من الأشياء مما يعض ويلطف حتى يخطئه العقل او يفتنى ويحتجب حتى

يقصر دونه العقل كانتفاع الانسان بما ينزع اليه نفسه ويشتاق
اليه طبعه من ملاذ الاعذية والملاهي المقوية فانه حسن في
العقل الأخذ منها بقدر الحاجة بل واجب وغير حسن اذا كان
لا يملكها الانتفاع بشئ منها الا بعد الإذن من مالكها فصار فعل
العقل في حال خلاف فعله في حال فدل ان العقل لا يستغنى
بنفسه ولم يضامه شئ من السمع مع أن العقل محتاج الى الرياضة
والتمييز والسمع والتجارب لا غير موهوم لو ان أكل الخلق
عقلاً ووافاهم فطنة غيب عن الناس وليداً حتى لم يسمع
شياً الى ان بلغ فأدرك انه يمكنه استخراج علم الفلسفة
والهندسة والطب والتنجم وغير ذلك فدل هذا كله أن
العقل غير مكنت به ولا بد من معلم ومعرف وهاج ومذكر
ولا يجوز ان يقع العلم بهذه الاشياء إلماً ضرورياً لانا ليس
نشاهد ذلك في أجناسها وامثالها وان لا يكون كلها بالا استخراج
والاستنباط من غير مقدمة وأصل سابق فسان قيل اذا كان
البارئ مريداً لصلاح خلقه غير بخيل^١ ولا عاجز ولا يمته
تكلف ولا علاج فيما يفعله فهلا جعل خلقه رسلاً وألهمهم من

^١ بحيل. Ms.

العلم ما استغنوا به على الرسل او حبس طباعهم عن التخطى
إلى محظور قيل لو فعل ذلك لم ينزلهم دار البلى والامتحان
ولا عرضهم لشرف الثواب وما هو إلا كقول من يزعم لم
خلق الله الخلق وأسقط عنهم التكليف وابتدأهم في الجنة
وهذا باب التجويز [٢٥ 22] والتعديل وليس كتابنا هذا
بنيينا له^١ ولكن لو فعل كان له ما فعل فإذا لم يفعل فنقول
أساء أو جهل أو عجز وهذا الظن نقض التوحيد وإبطال الدين
فيما د الكلام فيه وتقرر بأنه مادل حكيم لا يفعل إلا الأصلاح
بمخلقه والاعود عليهم ولو جعلهم كآهم رُسلاً لوجب أن يسوى
بينهم في الفضل والعقل والجاه والمال والقوة ولو فعل لما عرف
فاضل فله ولا قوى قوته ولما شكر وحمد في إسقاط
موجبات الشكر والحمد وإباحة الفكر والذم وهذا قبيح في
العقل فدل أنه لم يجز التسوية بين الخلق لا في الحال ولا
في المال ولا في الرسالة فان طمنوا في الرسالة بما يوجد
فيها من سفك الدماء وذبح الهائم وإيلام الناس فإن العقل
لا يرد شيئاً من ذلك إذا كان فيه ضرب من الصلاح كما

^١ لهذا بنيانا. Corr. marg.

يكره الانسان على شرب الأدوية الكريهة وعلى الفصد والحجامة
وقطع بعض الجوارح عند انتظار مخوفة وتأديب الأطفال وغير
ذلك فيوجب عليه أن لا يردع ظالماً ولا يفتص من جارحةٍ
وهذا قبيح وترخيص في الفساد ومن أعظم الدلائل على
وجوب الرُّسل هذه اللغات المختلفة التي تُلَقِّظ الناس بها
ويتعارفون بها ما يحتاجون الى معرفته ولا بُدَّ من معرف
ومعلم لها أسماء المسميات باختلاف اللغات وكذلك الصناعات
والآلات التي يتوصَّل بها اليها وليس في فسح الناس استخراج
لغة ووضع لفظ يتفقون عليه إلا بكلام سابق به يتداعون
ويتواضعون ما يريدون وليس في المقول معرفة ذلك ولا بدَّ
من معلم قال الله عزَّ وجلَّ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ
عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ
صَادِقِينَ ثُمَّ إِذَا صَحَّت النبوة ووجبت الرسالة بقي أن يُعلم الفرق
بين النبي وبين المتنبى لأنَّ الأشخاص متساوية متماثلة ففرَّق
الله تعالى لما اراد من أقبامه حجته وإظهار دعوته بين الصادق
والكاذب منهم بما خصه به من الآيات الباهرة والعلامات
المعجزة الخارجة عن العادة والحسَّ وذلك معروف معدود كما

يُحكى عن موسى وعيسى ومحمد عليهم السلم وغيرهم من
الانبياء صلوات الله عليهم اجمعين

القول في كيفية الوحي والرسالة ، أقول أنّ المسلمين ومن
فلهم اختلفوا في هذا الباب اختلافاً كثيراً فزعمت طائفة
أنّ الوحي إلهام وتوفيق وزعم آخرون أنّه قوّة الروح القدس
وعند الفلاسفة النبوة علم وعمل والمسلمون يقولون الوحي على
وجوه فنه الإلهام ومنه الرويا ومنه تلقين ومنه تنزيل وهذه
مسئلة من فصل الصفات اغفلناها في موضعها فحررناها في هذا
الفصل وهي كيفية القول والفعل من الله لأنّ اهل الاسلام
في ذلك مختلفون فزعم بعضهم أنّ كلام الله فعل منه فهو به
متكلم وكذلك إرادته ومشيته وجبه وبُئضه وقوله
كُنْ فَيَكُونُ تكوين منه لاشئ والقول زيادة قالوا لأنّ هذه
الاشياء أعراض قحّل في مواضع لها معلومة وليس هو بمحلّ
الاعراض وقال عامتهم ان الفعل تكوين (٢٢٢ ٧) وإيجاد من
غير معالجة بمجارحة إلا من شدّ فزعم أنّه يخلق بيديه
والافعال على وجوه كثيرة فنه الفعل بالقصد والاختيار ومنه
الفعل من غير قصد على السهو ومنه الفعل بالاتفاق والبحث

وكلها جركات ومنه فعل التولد كما يفعل الشيء بطبعه وفعل
 الله تعالى غير مُشَبَّه بشيء مما ذكرنا وزعم قوم أن كلامه ليس
 من أفعاله وفرقوا بين القول والفعل ولقد امتد بنا القول إلى
 هذه وما كان قصدنا أن نبلغ كُله ولكن لما رجونا من الخير
 وأملنا من هُدَايَةِ الناظر في كتابنا واهتدأته به ولما نرى
 من فساد الزمان وأهله وتحريم طالع الاحاد والتفارق والمجباب
 كل ذي حرفين بنفسه لإنتقاص العلماء ودروس آثارهم وما
 قدمت من عمل هو أَوْكَدُ في نفسى ام لا، وأوثق عُدَّة من
 جميع هذا الكلام والاجتهاد في شرحه وأسئل الله الذى من
 وأعان أن يصمم من زفات الشيطان وينفع به الناظرين
 والمستفيدين وان يرحم من عذرنا في تقصير إن كان منا وقام
 بتقويم أودِهِ وإصلاح غلظه مشارِكًا لنا في ثوابه وأجره فلم
 يسمد فيه خطباءً وتحريفًا ولا حملتنا الحمية والتعصب على تزويد
 أو إبطال أو تغيير رواية أو حكاية بل سُقناها على وجهها
 وأديناها بأوجز لفظها. لعلنا بموم الحاجة اليه من الأعاجم
 والأمةين مبتدئ المتعلمين،

الفصل الخامس

في ذكر ابتداء الخلق

قال انّ الموحدين في معنى إيجاد الخلق مختلفون لأنّ الله خلق الخلق لا لاجتلاب منفعة ولا لدفع مضرة وكلّ فاعل من غير نفع ولا ضرر فسفيه غير حكيم قال المسلمون هذا إذا كان الفاعل يلحقه المنافع والمضارّ فأما إذا كان غنياً من احتراز منقمة ممتناً من لحوق ضرر فقير سفيه ولا عايب وقد قامت الدلالة على أنّ الباري كذلك حكيم غير سفيه ومحال وجود العبث من الحكيم فلا يخلو خلقه من الحكمة وان خفي علينا وجهه لعنا بأنّ الحكيم لا يفعل ما هو غير حكمة واختلف آراء الناس في ما لاح لهم من الحكمة في خلقه وإن كان لا يميز القطع على شيء منه لظنه معظم علمه عنهم فقال قوم خلق الله الخلق لجوده ولرحمته إذ الجواد بإفاضة

الجود على المجد عليه يظهر جوده والقادر بإظهار المقدور يظهر قدرته وقال قوم خلقهم لينفهم وينفع بهم يعنون لتعبر^١ المتكلمون بالخلق غير المكلف وقال قوم ليأمرهم وينهاهم وقال قوم خلقهم لاستدعاء الشكر والثناء وقيل ليلم علمه أنه يخلقهم وقال قوم لا نقول شيئاً من ذلك خلقهم لما شاء ولا علم لنا بمشيئته هذا قول من اقرّ بمحدث العالم وأن له محدثاً سابقاً له فأما من أنكر ذلك فإنه احتجّ للقدم والاهمال بأنه لو كان للعالم صانع او مدبر ناظر لما كان فيه تفاوت خلق ولا تعادى سباع ولا شمول بوار ولا وقوع فساد ولا اعتراض أسقام وأوجاع ولا هرم ولا موت ولا حزن ولا فاقة وآية حكمة فى انشاء صورة حيوانية او نامية ثم فى إفنائها ولما استوى حال المائد والمجيب ولما فضل العالم الجاهل بالجاه والمال والمنزلة [٢٣ 28 ٢٤] وهل لا^٢ أخير الخلق ان كان له خالق على التناسف والتواصل ولم خلى بينهم وبين التعادى والتظالم والتباغى والتهاجى وهذا كله مضحّل متلاشٍ بشهادة آثار الخلق

^١ Ms. لتعبر.

^٢ Ms. هل ; corr. marg. هل.

على تفاوته واختلافه في الظاهر من الاجتماع والافتراق.
والحركة والسكون والاعراض والمقارنة له بمعرفة كمال
القدرة ووجوب العبرة في خلق الأضداد وللكاره وإعطاء
الحلق القوة والقدرة والاختيار ليستحسوا بأعمالهم أشرف الثواب
وليرتدعوا بالاعتبار عن الظلم والفساد ولو كانوا مجبورين كما
يزعمون أو مجبولين على فعل واحد دون ضده لكانوا جمادًا موأنا
ولو كانوا على طبع واحد لما عرفوا بجوانسهم ولا وجدوا بقولهم
إلا الشئ الواحد الذى يلايم طبعهم فلم يصلح حينئذ تكليف
ولا وقع منهم تمييز وترك إلحادهم على هذه الصورة انفع لهم
وابلغ في الحكمة ولا يفعل الله إلا الأصلح الأحكم وأما
فضل الجاهل العالم بالمال والجاه فالعلم أفضل من المال لأنه
السادة اللازمة والمال من السادة المفارقة فلو أنصف هذا
الزاعم في القضية لفضل الجاهل بالمال على العالم لفضل العالم
على الجاهل بأضفاف علمه لتساوى حالتهما وقد سئل جعفر بن
محمد الصادق رضى الله عنه عن هذه القضية قال ليعلم العاقل
أن ليس إليه من أمره شئ وای لمرى هو من أدل دليل
على مُدبّر قدير قاهر وهولاء المعطلة اقل الناس عددًا

واوهمهم عُدةً وافيلهم رأياً وأوهمهم عزماً وأنقصهم حجةً
وأخسهم دعوىً وأدناهم منزلةً وأغربهم ذهنًا لا يظهر واحد
في أمةٍ وجيلٍ إلا في الدهر والحين لأنه رأى مشرفل
وعقيدةً مهجوزةً وعزم مدحول لا يبدو إلا من قدم جاهلٍ
أو ممانيدٍ وما أراه انتشر في أمةٍ من الأمم وزمنٍ من الأزمنة
انتشاره في زماننا هذا وأمتنا هذه لتستر أهلها بالاسلام وتحليلهم
تحلية شرائعهم ودخولهم في غمار أهلها واحتال من احتال لهم
بلطف التمويه في تسليم الأصول الظاهرة والمصير به إلى
التأويلات الباطنة فهم يُرَفَّقون عن صُوحٍ ويحتسون في
إرتغاءٍ وذلك الذي حقن دماءهم وغمد سيف الحق عنهم
نابع في قديم الدهر وحديثه وأبداً صمغته إلا عوجل بالاستئصال
واحت من الأوصال واستنجر العدة فيهم سنة الله في الدين
خآو من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلاً زعموا أن هذه الدنيا
قديمة لم تنزل^١ على ما هي عليه ولا تنزال^٢ كذلك من صيفةٍ
بعد شتوةٍ وشتوةٍ بعد صيفةٍ وليل بعد نهارٍ ونهار بعد ليلٍ ونظفة

١ Ms. نزل.

٢ Ms. نزال.

من إنسان وإنسان من نطفة ووالد من ولد وولد من والد .
 وبيض من طير وطير من بيض وكذلك جميع الأشياء الحساسة
 والنامية بعضها من بعض بلاصانع ولا مدبر لا أول لها ولا آخر
 فإن هذه دعوى جائزة ومقالة باطلة ولو كان هذا المدعى
 لم يزل مع أزليّة العالم بزعمه لما ساعد له دعواه ان لم يتم
 له دليل من غيره على أزليته فكيف وليس هو ممن هو لم
 يزل ولا هو ممن لا يزال وان اعتمد فيه خير من كان قبله وان
 من أخبره لهو في حاله وحدوثه لم يشاهد من ذلك إلا ما
 شاهد من كان قبله مع معارضة الخصم له [٣٢٣ ٢٣] في الكون
 والحدوث لأنّ الدعاوى تصحّ بالحجج لا بالصفات وإن زعم أنّه
 قاس ما مضى منه بما هو مستقبل فيما بعد وأنه غير منقضى
 فهذا القضاء أجود من الأوّل وأضف مدّة بل هو نفس دعواه
 التي خولف فيها والمعارضة قائمة فإن زعم الحال والوقت
 الذي هو فيه فإنّ هذا رأى من قصر عليه وسخفت معرفته
 وأوجب أن يكون هو بنفسه لم يزل على ما هو عليه في الحال
 والوقت لم يكن قط نطفة ولا علقة ولا مئونة ولا جنيناً
 ولا رضياً ولا يتغير فيما بعد فيكتهل ويشيب ويهرم وتجري عليه

نسوت وتنتقل به الأحوال ومعاينة هذه يضطره إلى
 الإقرار ويبين عنه وجه العناد وإن زعم أن حكمه في نفسه
 خلاف حكم العالم قيل ولم زعمت ذلك وهل أنت إلا جزء
 من العالم بل قد شئت في جميع معانيه فسييت العالم الأصغر
 وكذلك كل ما يباين من الأشخاص والأنواع الملوية
 والسفلية من الحيوان والنبات ألا ترى أنك لو عدت إلى
 كل جزء من أجزاء العالم فاخصصته باسم لحصل العالم
 لا شيء كما أنك لو فرقت الجوارح والأعضاء لحصل الإنسان
 لا شيء فهذا يدل على أنك أن الكل اجتماع الجزء لا غير فإن
 قال لا يقوم في الوهم ولا يتصور في النفس حدوث هذا
 العالم ولا فناؤه وانتضاؤه عورض بأنه لا يقوم في الوهم
 ولا يتصور في النفس قدم العالم ولا بقاؤه مع أن القضاء عليه
 بالحدث والانتضاؤه أقرب إلى الأوهام وأشد ارتباطًا لنفوس
 لقيام الدلائل الواضحة والبراهين الشافية فإن قال كيف يمكن
 اعتقاد حدوث هذا العالم لا من شيء ولا في زمان ولا مكان
 فإن هذا اشتطاط في المطالبة وجور في القضية لأنه تكليف
 تمثيل ما لا مثل له وإحساس شيء غير محسوس وليس نلم

كالدنيا دُنْيًا غيرها فنشبه هذه بهذه وإنما نحكم بحدوثها لشهادة
 أثر الحدوث بها والعامى الذى لا رأى له ولا نظر عنده
 يطلب البدائل الظاهرة على الأشياء الحقیة وذلك مُحال
 بمنزلة مَنْ يجب أن يرى ما لا يرى وأن يسمع ما لا يسمع
 أو يسمع ما يرى ويرى ما هو مسموع ومن أنصف نفسه أنزل
 المعلومات منازلها واكتفى من الموهوم بالوهم ومن المحسوس
 بالחס ومن المدلول عليه بالدلالة وقد لعمري لا يتصور في
 الوهم إحداث هذه الجواهر والأعراض لا من غير سابق ثم
 لا يتصور وجود حدث لا من مُحدث فإذا تكافأت
 الصورتان لزم المصير إلى أشبهها دلالةً وأدناها إلى الحق درجةً
 فإن الدلائل شاهدة بأثار الحدث والقدم موهوم وقضية
 الدلالة عليه من قضية الوهم والدليل على أن العالم حادث
 غير قديم كما يزعمون وأنه لا أول له ولا حركة إلا وقبلها
 حادثة لو كان كذلك لما جاز وجود ما هو حاضر في الحال
 من حركة أو ليل أو نهار أو شخص ما لأن ما لا نهاية له
 في وجوده وعدمه فحال أن يوصف بأنه قد تنهى وانقضى
 حدوثه وقرغ منه ولأن ما لا أول له فقير جائز وجود ثانيه

ولا وجود ثالثٍ ما لا ثالث له ولا وجود رابعٍ ما لا ثالث له
على هذا القياس كما أن ما لا غاية له ولا نهاية في
المستقبل [٢٤ ٣٤] محال ان يُوصف بأنه ينقضى أو ينقطع يوماً
كذلك من زعم من الحوادث لم يزل يحدثُ بلا أول فهذا
الحادث في الحال والوقت المشاهد لا يخلو من وجود ثلثة١ إتما
أن يكون هو الأول أو بعد الأول ولا أول ولا بعد الأول فإن
كان هو الأول وان كان بعد الأول فقد ثبت الأول وان كان
لا أول ولا بعد الأول فهذا فسادة ظاهرة فكأث قال شئ
لا شئ ولو جاز وجود ما لا أول له لجاز وجود الشرات
من غير تقدم الآحاد ووجود المثين من غير تقدم الشرات
ووجود الألوف من غير تقدم المثين لأن بالأحد يتم الاثنان
وبالاثنين يتم الثلاثة ألا ترى أن قائلًا لو قال لا تُثبت الأرض
حتى تمطر السماء ولا تمطر السماء حتى تنعيم ولا تنعيم حتى يشور
البخار ولا يشور البخار حتى تهب الرياح ولا تهب الرياح
حتى يحرّكها الفلك ولا يحرّكها الفلك حتى تكون كذا ويمدّ

١ له . Ms.

٢ المابين . Ms.

في هذا الاشتراط شيئاً قبل شيء - أبداً الى غير نهاية ولا غاية
لم ييجز وجود نبت ولا مطر ولا غيم ولا ريح لأنه مُعلق
بشرط ما قبله غير جائز وجوده لأنه غير متناهٍ وكذلك
من زعم أنه لم يكن حركة إلا وقبلها حركة ولا انسان إلا وقبله
انسان ولا نُبت إلا وقبله نبت الى ما لا غاية ولا نهاية
فحال وجود هذا الانسان والنبت لأن وجوده كان مُعلقاً
بشرائط لا أولها وما لا غاية له لا يُوجد ولا يُعلم ولا يُوهم
وكذلك لو قال قائل لا أدخل هذه الدار حتى يدخلها زيد ولا
يدخل زيد حتى يدخل عمرو ولا يدخلها عمرو حتى يدخلها فلان
ثم كذلك الى غير غاية لم ييجز دخول زيد ولا غيره أبداً
وكذلك لو قال لا آكل تفاحاً حتى آكل قلبها تفاحةً
لم يصح له اكل تفاحة ابداً لأنه كلما ضرب يده الى
تفاحة يأكلها منه شرط أكل تفاحة قلبها ، ومن الدليل
على حدث العالم أو أن له أولاً انا لو توهمنا عند كل حركة
مضت من حركات الجسم حدوث حَدَثٍ او ظهور شخص لكان
ذلك اجساماً حاضرةً يحضرها العددُ ويأتي عليها الحسابُ
وكذلك لو توهمنا هذا العالم حياً عالماً لجاز أن يُعدّ حركاته

وسكناته فيكون ذلك عددًا قائمًا معروفًا لمبلغ وما له
 مبلغ وأتى الحسابُ عليه فتناءٍ وكلّ متناهٍ له أولٌ وإن لم يتناهَ
 ومن الدليل على حدث العالم وأن له أولًا أن ما مضى من
 حركات الفلك لا يخلو من أن يكون مثل سكناتها متساويةً
 أو أكثر منها أو أقلّ فإن كانت مثلها فالمثل كالنصف وما
 له نصف فتناءٍ والأكثر والأقلّ تدلّ الكثرة على تضاعف
 أجزاء الأكثر على الأقلّ فإذا ثبت تقدم إحدى الحركات
 على الأخرى وما له تقدم فتناءٍ وله أولٌ وهذا من الحجج
 الواضحة التي يفهمها كلّ سامعٍ وللموحدين في هذا الباب من
 دقائق النظر بما ألهمهم الله من توفيقه ما لا يظهر عليها إلا
 اللقن القطين ولها موضعها من كتابه فإن قيل أليس الحوادث
 عندهم في المستقبل لا تزال إلى الآخر وإن كان لها أولٌ يريدون
 قول أهل التوحيد ببقاء الآخرة على الأبد فما أنكروا أن ما
 مضى من الحوادث لا أول لها وإن كان لها آخر قيل إنا
 لا نزعم أن ما له أولٌ لا يجوز أن يكون له آخر وإن
 الحوادث غير متناهية [١٠٢١ ٣] ولكننا نقول أن الحوادث لا يزال
 يحدث منها حادثٌ بعد حادثٍ لا إلى غاية ولا يخرج كلها إلى

الوجود حتى يُرى موجودًا لم يبقَ منه شيءٌ لم يُوجد وليس أولُ
الشيءِ بموقوف على صحّة وقوع آخره كما أن آخره موقوف على
صحّة وقوع أوله لأنه يستحيل وقوع آخر لا أول له ولا
يستحيل وقوع آخر بعد آخر أبدًا كما يستحيل وقوع فعل لا من
فاعل متقدّم ثمّ لا يجب وجود الفاعل بعد فعله باقياً أبدًا أو
كما أن الأعداد مفتقرة أبدًا الى أول تنشؤ منه وتبتدئ ثمّ
لم يجب وجود تناهيها لتناهي أولها ومن الفرق بين المستقبل
والمستدر أنه يجوز وجود ما لا يزال يتحرك ولا يجوز وجود
ما لم يزل يتحرك كما أنه يجوز وجود من لا يزال يتذر من
ذنب ولا يجوز وجود من لم يزل معتذرًا لأن الاعتذارات
لا بُدّ لها من أول وقد يجوز أن يكون لا آخر لها كذلك
الأفعال لا بُدّ أن لها أولًا ولا يجب أن يكون لها آخر ومن
ها هنا التزم بعض الموحدين بأن الحوادث لها آخر آخر العلة
الحدث وإن زعم ان هذا العالم وما فيه من فعل الطبايع وما
أوجبه ذواتها فالطبايع مركبة من البسائط والتركيب عرض
وهو دلالة الحدّث فالطبايع إذا مُحدثة ثمّ هي جاد وموات
كالخبر والشجر ثمّ هي مستخرة مقهورة بدلالة أن من شأنها

التنافر والتضاد فلما رأيناها متواطئة متوافقة علمنا أنه
 بقهر قاهر وضبط ضابط ثم هي غير عالمة ولا مميزة وإذا كان
 هذا هكذا استحال وجود هذه الصنعة المحكمة المتقنة
 العجيبة البديعة من مُستخر غير عالم وليس تُنكر فعل الطبايع
 وتأثيراتها في المطبوعات من الحر والبرد في الفصول والارباع
 لأن الله تعالى وضعها على ذلك وركب فيها تلك القوة
 وسخرها لما أراد أن يصرّفها عليه وجعلها سبباً لتلك المُسببات
 ومتى شاء سلبها تلك القوة وأبطل فعلها كما جعل الطعام
 مُشبعاً والماء مرويّاً وكثير من الناس يأتون القول بما أطلقناه
 تحرّراً لمذهبهم وان صحّ فعل من حيّ قادر فأما الاختيار
 والتدبير فغير جائز إلا من قادر حكيم وكذلك على من
 يزعم أن هذا العالم وما فيه من فعل الفلك والنجوم وغيرها
 فإن قيل إذا لم تروا حياً قادراً فعل انساناً وصورة وركب
 فيه العقل والقوة والسمع والبصر ثم قضيتم بأن في الغائب حياً
 قادراً يفعل ذلك ما انكرتم أن يكون الطبايع تصوّر مثل
 هذا الانسان وإن لم تروا مثل هذا في الشاهد قيل وما
 سوا لائنًا وإن لم نشاهد حياً قادراً فعل انساناً فقد شاهدنا

-ياً قادراً فعل شيئاً وأبدعه فدلنا انه لا يجوز فعل في لغائب الأمان حتى وليست الطبايع بجثة ولا قادرة فإن قيل أليس النار تُحرق والماء يَطْب قيل فقد يقولون فلان يحرق ويبرد ويضيفون الفعل الى المختار الحى والموات المضطر ولو كانت الطبايع بذاتها لما جاز عليها الاتفاق مع تضادها فإن قيل شئ تملونه خالياً من الطبايع أو غير متولد منها قيل الطبايع نفسها متولدة منها وأكثر القدماء على أن الأفلاك ليست من جنس الطبايع وهل يصح القول بأن الحركة والسكون والصوت والحجز والقدرة [٣ 25 ٢] والطم والجهل والحب والبغض والألم واللذة والكراهة والإرادة وغير ذلك من الأضداد والأشكال من الطبايع أو أنها ليست بشئ لخروجها من أنواع الطبايع وأما احتياجهم بالاستحالة فذلك محال الاعميل^١ لانه لو جاز أن يستحيل الشئ بنفسه لجاز ان يتلاشى بنفسه ولو جاز ان يتلاشى بنفسه لجاز أن يتركب ويخرج إلى الوجود من المدم وهو عدم فلما لم يجوز هذا لم يجوز ذلك وبالله التوفيق، ومن الدليل على حدث العالم أنه لا يخلو

^١ كذا في الأص : Note marginale :

من أحد الامرئين إما أن قد كان وإما أن لم يكن فكان
فإن كان قد كان فهذه الحوادث المقارنة له شاهدة بأنه
ما كان فدلّ أنه لم يكن فكان ثم لم يخلُ هذا من أحد
الامرئين إما أنه كان بنفسه وإما أنه كان بمكون غيره فإن
كان بنفسه فحال أن يكون المدم وجودًا لهجز الكائن عن
تكوين مثله فكيف يقدر على تكوين ذاته وهي معدومٌ بقي
الوجه الآخر وهو أنه كونه مُكوّنٌ ومن الدليل على
حدث العالم أنه لا يخلو أن يكون قديمًا أو حادثًا أو قديمًا
حادثًا أو لا قديمًا ولا حادثًا فاستحال القول بأنه لا قديم
ولا حادث لمشاهدتنا إياه فاستحال أن يكون قديمًا حادثًا
لاستحالة اجتماع الضدين بقى القول بالتقديم والحديث والدعوى
يتساوى فيه لأنه ليس قول من زعم أن العلم كان أولى من
قول من زعم بأنه لم يكن ولا جواب من قال لِمَ لم يكن
بأسعد من قول مَنْ قال لِمَ كان فنظرناه فإذا دلائل
الحديث يشهد بما لا يشهد دلائل القدم ومتى أراد المُحدث ان
يمارضك في قولك بالتقديم فطالبه بصفات التقديم فإن
أعطاك فقد أقرّ بالمعنى وبقي الخلاف في التسمية وهذه مناظرة

جرت بين الموحّد والمحد من أوضح المسائل وأنفعا لا بُدّ لكلّ
 مُسلم من تحفظها، إن سأل سائل فقال ما الدليل على حدث
 العالم قيل الدليل على حدثه أنّه جواهر وأعراض والجواهر
 لا تخلو من ان تكون مجتمعة أو متفرقة أو ساكنة أو
 متحركة إلا في حال واحدة ولن يجتمع المجتمع بالاجتماع
 ولا يفرق المفرق بالافتراق وكذلك المتحرك والساكن
 والاجتماع والافتراق والحركة محدثة وهو إذا كان
 كذلك ولم تخلُ الجواهر منها فهي محدثة لأنّ ما لم يسبق
 الحوادث ولم يتقدما فحدث مثلها مثال ذلك أنّ فلاناً لو
 قال إنّ عمرو لم يوجد قطّ في هذه الدار إلا وزيد معه ثم
 قال وإنا وجد فيها زيد أمس فوجب أنّ عمرو إنّما أوجد
 فيها أمس فإن قيل ليس قد وجدتم الباقي الذي ليس
 بمنقض لا يخلو مما لا يبقى وينقض ولا يوجد بعده متعرياً
 منه فما أنكرتم أنّ القديم الذي لم يزل لا يخلو من حادث
 ولا يوجد سابقاً له متعرياً منه قيل المعارضة فاسدة من قبل
 أنّه ليس مما لا يبقى وينقض عروضاً للحدث او المحدث وإنا
 عروض ذلك لم يبقى وانقض وذلك إنّ قولك لا يبقى

وينقضى الحالة على وقت يأتي به يستحق الحكم بأنه
 مُنقضى غير باقٍ فلم يكن منكراً لان يقارن الباقي حتى لا يخلو
 منه اذ لم يُسبق الوصف المضاد لوصفه وقولك قد حدث حكم
 قد وجب له في وقته لا ينتظر وجوبه في وقت فاستحال
 أن يقارن القديم حتى لا يكون [٢٥ ٢٥] القديم سابقاً له فإن
 قيل فاونجوا أن يكون الباقي متغريباً ممن لم يبق وانقضى كما
 أوجبتم أن يكون القديم سابقاً للمحدثات موجوداً قبلها قيل
 ذلك يفعل وهو الواجب كما أنه سابق للحوادث فكذلك
 يجب أن يكون باقياً متأخراً عنها ومتى ما لم يكن كذلك
 لم يكن باقياً كما أنه لو لم يسبقها لم يكن قديماً فإن قال اذا
 زعمتم أن المقارن للحوادث حوادث فما ينكرون أن يكون
 المقارن للحوادث أمس حادثاً أمس. قيل لأننا نقول أن الذى
 يقارن للحوادث حادث بالإطلاق ولكن نقول ما لم يسبقها
 فحادث مثلها والجسم فإن قارن الحوادث أمس كان موجوداً
 قبله فلذلك لم يجب أن يكون حادثاً منه وهذه يؤكد
 ما قلنا له كما وجب ان يكون ما لم يسبق الحادث أمس
 حادثاً أمس فكذلك يجب أن يكون ما لم يسبق الحوادث

بإطلاق حادثاً بالإطلاق فإن قيل أليس لم نشاهد والاجسام
مقارنة لحوادث إلا وقد كانت موجودة قبلها مقارنة لحوادث
غيرها فهلا زعمتم أن ذلك سبيلها وأنها لم تنزل كذلك قبل
هذا غير واجب لأننا وإن كُنَّا حكمنا بأن الأجسام التي
شاهدناها كانت متقدمة للحوادث المقارنة لها مقارنة لغيره
فلم نحكم بذلك من طريق الوجوب ولا لأن الجسم إنما كان
جسماً موجوداً لأنه لا بُدَّ من أن يكون متقدماً للحوادث
المقارنة لها مقارنة لغيره لأن هذا حدّ الجسم وحقيقته بل
إنما حكمنا بذلك لأننا لم نشاهد جسماً حدث في وقت
مشاهدتنا له ولأنه صحَّ عندنا بالخبر والدليل أن هذه
الأجسام التي شاهدناها قد كانت موجودة قبل مشاهدتنا لها
وصحَّ أن الجسم لا يخلو من حادث ولو أنا شاهدنا جسماً في
وقت لم نشاهده قبله ثم لم يَثْمَ لنا دليل على أنه كان
موجوداً قبل تلك الحال ولا خير صادق بذلك لما حكمنا
بأنه قد كان موجوداً قبل الحوادث المقارنة له مقارنة
لغيرها بل كُنَّا نخبّر^٢ ذلك ونخبّر^٣ أن لا يكون سبق ما

* Ms. احد.

* Ms. بحر.

* Ms. بحر.

هو موجود معه منها، فإن قيل ولم جوزتم هذا وهلا قضيتم على كل جسم غاب أو حضر وردّ فيه خبراً ولم يرده قسام على تقدمه دليل أو لم يؤمّ بمثل^١ ما شاهدتم عليه هذه الأجسام وقضيتم بها عليها من تقدمها الحوادث الموجودة منها ومقارنتها^٢ لغيرها وإلا فكيف تزعمون^٣ أنكم تقضون بالشاهد على الغائب قيل ليس القضايا بالشاهد على الغائب على ما ظننتموه لأنه ليس يجب إذا شاهدنا جسماً على صفة من الصفات أن تقضى كل جسم غاب عنا كذلك إنما يجب إذا شاهدناه على صفة ما أن يُنظر هل هو عليها من جهة الوجوب الذي هو حده وحقيقته أم لا فإن كان كذلك قضينا على كل جسم غاب عنا بحكمه وإلا فلا كما قلتم أن لا جسم في الشاهد إلا مركباً من الطبايع الأربع ولا مركباً من الطبايع إلا جسماً ثم قلتم بأن الافلاك من طبيعة خامسة ولم يشاهدوا ذلك فكذلك إذا لم نر إنساناً إلا أبيض لم يجب القضاء بأن كل إنسان

١ مثل Ms.

٢ مقارنتها Ms.

٣ يزعمون Ms.

أبيض أو لم ترَ دُمَانًا إلا حلوا لم يلزم أن لا يكون دُمَانٌ إلا
حلوا وكذلك إذا لم ترَ جسماً مقارناً لحادث إلا وقد كان
عندنا متقدماً له مقارناً لحادث غيره فلم يكن جسماً لآئه
كذلك ولا ذلك حدّه بل حدّه أن يكون طويلاً عريضا
عميقاً فلما لم يكن جسماً لآئه يسبق الحوادث فيوجد مع غيرها
لم يجب أن يكون ذلك [٣٢ 28 ٣] حال كلّ جسم في كلّ
وقت وهذا أيضاً جواب قولهم إذا لم يروا أرضاً إلا ومن ورائها
أرض ولا بيضة إلا من دجاجة ولا دجاجة إلا من بيضة
فكيف قضيتم بخلاف ما شاهدتم فيقال ليس حدّ البيضة
أن تكون من الدجاجة ولا حدّ الدجاجة أن تكون من البيضة
وأما الدلائل قامت على حدثها فإن قال ولمَ زعمتم ان
الجواهر لا تخلو من ان تكون مجتمعة او متفرقة قيل هذا من
أوائل العلوم التي تُعرف بالبديهة ولا يترض عليها بالشبه فإن
قال ما الدليل على المجتمع اجتماعاً به كان مجتمعاً والمفترق
افتراقاً دون أن يكون مفترقاً ومجتمعاً بنفسه قيل لو كان
مجتمعاً بنفسه لما جاز وجوده مفترقاً ما دام نفسه موجودة
وكذلك المفترق فدلّ أن المجتمع مجتمع باجتماع وكذلك

الافتراق ، فإن قيل وما الدليل على الاجتماع والافتراق
مُحدَثان قيل الدليل على ذلك أنا نقصد الجسم المجمع مفترقة
فيوجد فيه افتراق فلا يخلو ذلك الافتراق من أن كان
موجوداً فيه قبل ذلك أو لم يكن فحدث فإن كان موجوداً
فيه فقد كان مجتمعاً مفترقاً وهذا محال فثبت أنه حدث عند
الافتراق وبطل أن يكون الاجتماع والافتراق كائنين في
الجسم فإن قال ما انكرتم أن يكون الاجتماعات والافتراقات
لا نهاية لها وأنه لا اجتماع إلا وقبلة اجتماع ولا افتراق إلا
وقبلة افتراق قيل هذا فاسد لأتبه لو كان كذلك لما جاز
أن يوجد واحدٌ منهما كما أن قاصداً لو قصد إلى جماعة فقال
لا يدخلن هذا البيت أحدٌ منكم حتى يدخله قبله آخر ما جاز
أن يوجد واحدٌ منهم في ذلك البيت ولو وجد كان في ذلك
انتقاض الشرط فإن قيل فما تنكرون أن يكون الاجتماع
والافتراق خمسين قيل لو كانا كذلك لم يخلُ من أن يكونا
مجتمعين أو مفترقين باجتماع وافتراق هما هما أو غيرهما فإن
كانا مجتمعين باجتماع هو هما استحالة وجود الافتراق فيهما ما
دامت أعيانها قائمة وإن كانا مجتمعين باجتماع هو غيرهما

احتاج ذلك الاجتماع إلى اجتماع إلى ما لا نهاية له ولا غاية وكل ما لا نهاية له ولا غاية فغير جائز وجود ما في الحال منه وهذه مسألة جارية منذ قديم الزمان ولقد رأيت أهل النظر يقحمون أمرها ويرفمون من شأنها ووجدتها في عدة كتب بألفاظ مختلفة فلم أجدها أكمل وأتم من قول أبي القاسم الكمي في كتاب أوائل الأدلة فانتبت بها على وجهها وقد ثبت حدث العالم كما ترى فيجب أن يُنظر أحدث جلة واحدة وضربة واحدة أم شيئاً بعد شيء لأن ذلك كله يجوز في العقل فإن أوجد كما هو فابتدأه حدوثه وإن أوجد منه شيء بعد شيء فابتدأه ما أوجد منه وليس ذلك إلى العقل فيُتمد ولكن سبيله السمع والخبر والناس مختلفون فيه القدماء ومن بعدهم من أهل الكتاب والمسلمون وأنا ذاك من ذلك ما روي ومُرجح ما وافق الحق إن شاء الله عز وجل ،

القول في ابتداء الخلق قرأت في كتاب منسوب إلى رجل من القدماء يقال له افلوطرخس^١ ذكر فيه اختلاف

^١ افلوطرخس Ma.

مقالات الفلاسفة ووسمه بكتاب ما يرضاه الفلاسفة من الآراء
الطبيعية ^{حُكِي} عن تاليس الملقى^١ أنه كان يرى مبدأ
الموجودات الماء منه بدأ وإليه ينحلّ وإنما دعاه الى توهم
[٢٦ ٢٥] هذا الرأي أنه وجد جميع الحيوان من الجوهر الرطب
الذى هو المني فأوجب أن يكون مبدأ جميع الاشياء من
الرطوبة ومتى ما عدت الرطوبة جّت وبطلت وحُكِي
ان فيثاغورس من أهل شاميا وهو أول ما سنى الفلاسفة بهذا
الاسم وتاليس أول من ابتداء الفلاسفة أنه كان يرى المبادئ
هي الأعداد المتعادلات وكان يسميها تأليفات وهندسيات
ويسمى من جملة ذلك اسطقسات ويقول الواحدة والثانية
لا حدّ لها في المبادئ ويرى أن أحد هذه المبادئ هي الملة
الفاعلة الخاصة^٢ وهي الله عزّ وجلّ والثاني العقل والثالث
المنصر وهو الجوهر القابل للانتقال وعنه كان العالم المدرك
بحسّ البصر وأن طبيعة العدد تنتهى^٣ الى العشرة واذا بلغها

^١ الملقى Ms.

^٢ في الاصل الخاصه : Indication marginale

^٣ ينتهى Ms.

رجع الى الواحد وأن العشرة بالقوة في الأربعة وذلك اذا
اجتمعت الأعداد من الواحد الى الاربعة استكملت عدد العشرة
وقد ذكر ابن رزاق هذا الفصل في كتاب النقض على
الباطنية قال افلوطرخس وكذلك كان الفيثاغوريون^١ يقولون
في الاربعة قسماً عظيماً ويأتون في ذلك بشهادة الشعر إذ يقولون
لا وحقّ الرباعية التي تدير أنفسنا التي هي أصل لكل طبيعة
التي تسيل دائماً كذلك النفس التي فينا مركبة من أربعة
اشياء، وهي العقل والعلم والرأى والحواس ومنها تكون كل
صناعة وكل مهنة وبها كنا نحس أنفسنا فالعقل هو الواحدة
وذلك أن العقل أتما يجري وحده وأما الثانية التي ليست بمجمودة
فالعلم وذلك ان كل برهان وكل اقتاع فنه وأما الثالثة فالرأى
لأن الرأى لجماعة والرابعة الحواس وحكى عن رافليطس أنه
كان يرى مبدأ كل شيء النار واليها انتهؤها وإذا اختلفت النار
يشكل به العالم وأول ذلك أن الغليظ منه إذا تكاثف واجتمع
بعضه الى بعض صار أرضاً واذا تحللت الارض وتفرقت أجزاءها
بالنار صارت ماءً والنار يحلّل الأجسام ويشيرها وحكى عن

^١ - التولماعوريون . Ms.

انفأمس انه كان يرى الهوآء أول الموجودات منه كان الكلّ
وإليه يتخلّ الموجودات مثل النّفس التي فينا وانّ الهوآء هو
الذي يحفظ فينا الروح والهوآء يُسكان العالم كله والروح والهوآء
يقالان جميعاً لأنّ علي معنى واحد قولاً متواطئاً وحكى عن
فيثاغورس^١ أنّه كان يرى أنّ مبداء الموجودات هو التشابه
الأجزاء وأن الكائنات يكون بالعدّاء الذي تمتدئى به ومن
هذه الكائنات يكون معنى التشابه الأجزاء. وعنده أن الاشياء^٢
يدرك بالقل لا بالحوّس وهي أجزاء العدّاء وانما سميت متشابه
الأجزاء من أجل أنّ هذه الأعضاء المكوّنة من العدّاء متشابهة
بعضها يشبه بعضاً فسميت متشابهة الأجزاء وجعلها مبادئ
الموجودات وصير التشابه الأجزاء عنصراً وحكى عن ارسلاوس
أنّه يرى مبدأ العالم ما لانهاية له وقد يتراض فيه التكاثف
والتخلخل فنه ما يصير ماءً ومنه يصير ناراً وحكى عن اسقورس
أنّه كان يرى الموجودات أجساماً مدركة عقولاً لا خلاء فيها
ولاكون سرمدية غير فاسدة لا يحتمل التكسر والتهشم

^١ انفساغورس Ms.

^٢ الاسباء Ms.

ولا يتراض في أجزائها خلاف ولا استحالة وهي مدركة بالعقل
لا بالحواس وهي لا يتجزأ وليس معنى قوله لا يتجزأ أنها في غاية
الصغر لكن لا تقبل الانفعال والاستحالة وحكى عن
اثنا دقليس أنه [٢٥ 27 ٣] لا يرى الاسطقات الأربع التي هي الماء
والنار والهواء والأرض وأن المبدأ مبدآن^١ وهما الحبة والنبذة
واحدما يفعل الإيجاد والآخر يفعل التفرقة وحكى عن
سقراط بن سقريوس وافلاطون بن أرسطو الإلهي أنها بيان
المبادئ الثلاثة^٢ الله والعنصر والصورة زعم المفسرون أن معنى
قولهم الله هو العقل العالم ومعنى العنصر هو الموضوع الأول
للكون والفساد ومعنى الصورة جوهر لا جسم في التخييلات
وحكى عن ارسطاطاليس بن توماجس صاحب المنطق
أنه يرى المبادئ الصورة والعنصر والعدم والاسطقات الأربع
وجسم خامس هو الأمر غير المستحيل وحكى عن دنوهرماوس
أنه يرى المبادئ هي الله تعالى وهي الملة الفاعلة
والعنصر المنفعل والاسطقات الأربع فهذا جملة ما حكاه

^١ مبدآن Ms.

^٢ ثلاثة Ms.

افلوطرخس^١ من أقاويل الفلاسفة في المبادئ وزعم ايوب
 الرهاوى في كتاب التفسير أن المبادئ هي العناصر المفردة يعنى
 الحر والبرد والبلّة واليبس فكوّنت النار من تركيب الحرّ مع
 اليبس وكوّن الهواء من تركيب البرد مع البلّة وكوّن الماء من
 تركيب البرد مع البلّة وكوّنت الأرض من تركيب البرد مع اليبس
 فصارت هذه العناصر المركبة ثم كوّن من تركيب هذه العناصر
 المركبة الحيوان والنبات^٢،

ذكر ما حكى أهل الاسلام عنهم ، حكى ذرقان في كتاب
 المقالات أن ارسطاطاليس قال هيولى قديم وقوة معه لم يزل
 وجوهر قابل للأعراض وأنّ الهيولى حرّك القوة فحدث البرد
 ثم حرّكها فحدث الحرّ ثم قبلها الجوهر قال وشبهه إحداث^٣
 الهيولى الحركة بإحداث الانسان الفعل بعد أن كان غير فاعل
 له والفعل مرّض وهو غير الانسان فكذلك الهيولى أحدث
 اعراضًا هي غيره ولا يقال كيف أحدثها كما لا يقال كيف حدثت
 هذه الحركة من الانسان وحكى [عن] جالينوس أنه قال

^١ Ms. افلوطرخس.

^٢ Ms. بإحداث.

بأربع طبائع لم ينفك العالم منها قال وقال سائر الفلاسفة
بأربع طبائع وخامس معها خلافا لولا هو لما كان للطبائع ائتلاف
على تضادها قال وقال هرمس^١ يمثل مقالة هولاء فائتبت
العالم ساكتا ثم تحرك والحركة معنى وهو زوال وانتقال والسكون
ليس بفعل قال وقال بلعم بن باعورا العالم قديم وله مدبر
يدبره وهو خلافه من جميع الماني واثبت الحركات فقال ان
الحركة الأولى هي الثانية معاودة لأن من قوله أن الحركة مع
اصل العالم والعالم قديم عنده قال وقال أصحاب الاضطراب
بمثل مقالة بلعم إلا أنهم زعموا أن العالم لم يزل متحركا بحركات
لا نهاية لها وأنكروا أن يكور، الحركة لها أول وأخر لايتها ليست
بمحدثة قال وقال أصحاب الجنة أن العالم لم يزل مصورا قديما
جنة مضمته فانقلبت الجنة وكان الخلق كامنا فيها فظهر على
نحو ما يظهر في النطفة والبيضة والنواة قال وقال أصحاب
الجوهرة أن العالم جوهرة قديمة وأحدية الذات وانما اختلفت
على قدر التقاء^٢ الجوهرة وحركاتها فإذا كانا جزيين كانا حرا

^١ هرمس . Ms.

^٢ التقاء . Ms.

وإذا كان ثلثة أجزاءً صار بردًا وإذا كانت اربعة صارت رطوبة
وزعم أن حركة قبل حركة إلى ما نهاية وقد جمع الناشى مذاهب
هولاء كلهم بلفظة واحدة فقال هم أربع طبقات فطبقة
قالت [٣٧ 27] قَدَم الطينة وَحَدَّث الصبغة وطبقة قالت يحدث
الطينة والصبغة وطبقة شكّت فلم تدرِ أقديمة هي أم حديثة
لتكافئ الأدلة عندها وقد قال جالينوس وما على أن لم أدرِ
أقديمة هي أم حديثة وما حاجتى الى ذلك فى صناعة للطب ،
ذكر مقالات الشنوية والحرائية أصل اعتقاد هولاء فى
الجملة أن المبدأ شيان اثنان نور وظلمة وأن النور كان فى
أعلى العلو وأن الظلمة كانت أسفل السفل نورًا خالصًا وظلمة
خالصة غير مماسين على مثال الظلّ والشمس فامتزجا فكان
من امتزاجها هذا العالم بما فيه هذا الذى يجمع أصل عقائدهم
ثم اختلفوا بعد ذلك فزعم ابن ديسان ان النور خالق الخير
والظلمة خالقة الشرّ بعد قوله بأن النور حتى حساس والظلمة
موات فكيف يصحّ الفعل من الموات ولما رأى من فنون ما
لحق الماتوية والديصانية من التناقض والفساد أحدث
مذهبا زعم أن الكونين النورى والظلامى قديمان ومعهما شئ

قديم ثالث لم يزل خلافاً وخارجاً عن خارجها وهو الذي حمل الكونين على المشابكة والامتزاج ولولا ذلك المعدل بينهما لما كان من جوهرهما إلا التباين والتنافر وزعم كنان أن أصل القديم ثلاثة أشياء الأرض والماء والنار غير أن المدبر لها اثنان خير وشر، وأما الحرانية فمختلف عندهم في الحكاية زعم أحمد ابن الطيب في رسالة له يذكر فيها مذاهبهم أن القوم مجمعون على أن للعالم علّة لم يزل ويقولون المدبرات سبع واثناعشر ويقولون في الهوى والدم والصورة والزمان والمكان والحركة والقوة يقول ارسطاطاليس في كتاب سمع الكيان وزعم زرقان أنهم يقولون مثل قول المائة وقال بضم أن مذهب الحرانية ناموس مذهب الفلاسفة وما لم يكن يجسر أحد أن يظهر خلافهم، وأما المجوس فأصناف كثيرة ولهم هوس عظيم وترهات متجاوزة الحد والمقدار لا يكاد يوقف عليها فبعضهم يقول بقول الثنوية وبعضهم على مذهب الحرانية والخرمية جنس منهم يتسترون بالاسلام ويقولون مبدأ العالم نور وأنه نسخ بعضه فاستحال ظلمة وأما اهل الصين فعاتمهم الثنوية إلى كثير ممن يليهم من الترك وفيهم المعطلة الذين يقولون بقدّم الأعيان وأنّ العالم لا صانع

له ولا مدبر والهنود أصناف كثيرة وتجمعهم البراهمة والسمنية
والمطللة الأخرى يقولون بالتوحيد غير أنهم يُبطلون الرسالة
ومنهم المهادريّة يزعمون أن المبدأ ثلاثة أخوة أحدهم مهادرز
فاحتال أخواه في المكر به ففترت به دابته فسقط ميتاً فسلخنا
جلده وبسطناه على وجه العالم فصار من جلده هذه الأرض
ومن عظامه الجبال ومن دماغه الأودية والأنهار ومن شعره
الأشجار والنبات هذا ما بلننا من مذاهب سُكّان الأرض
والقدماء في هذا الباب وقد أشرنا إلى فساد مذهبهم ومذهب
مَنْ يقول بقدم العالم أو شيء مع الله تعالى بما فيه كفاية وغُنية
وهذه الحكايات كلها ان لم يكن شيء منها زُمرًا أو النازًا أو
تمثيلًا أو روايةً عن كتاب من كتب الله عزّ وجلّ أو رسول
من رُسل الله أو بوفاق ما جاء منهم أو بشهادة المقول قاطبةً
فردودة غير مقبولة ومحمولة على تمويه واضمحاض وتزوير مبتدعها
وليس في كثرة الترداد والتكرار كثير فائدة ومتى مرّت نفسك
على تحفظ مسألة إحداث العالم استغنيت عن كثرة الخوض في
الفروع التي بُنيّت على أصل القدم [٣ 28 ٣] لآته إذا وهى
البناء وضُف لم يثبت فروعه ولا قامت أركانه ،

ذكر مقالات أهل الكتاب في هذا الباب ، قرأتُ في كتاب
 موسوم بشرائع اليهود أن جماعةً من علمائهم نَوَّوا عن التفتُّح
 عن هذا الباب والشروع فيه وزعموا أنه لا ينبغي للإنسان أن
 يبحث عما يتعجب منه ويخفى عليه وزعم بعضهم أن الشيء الذي
 خلقه الله تعالى في الابتداء سبعة عشر شيئاً خلقها الله بلا نُطق
 ولا حركة ولا فكرة ولا زمان ولا مكان وهي المكان والزمان
 والريح والهواء والنار والماء والارض والظلمة والنور والعرش
 والسموات وروح القدس والجنة وجنهم وسُور جميع الخلائق
 والحكمة قال ومخلوقه ذو جهات ست وهو محصور بين
 هذه الجهات التي هي الأمام والخلف والعلو والسفل واليمين
 والشمال وزعم بعضهم أن أول ما خلق الله سبعة وعشرون شيئاً
 فذكر هذه السبعة عشر وأضاف إليها كلام موسى الذي سمعه
 وجميع ما رآه الانبياء والمن والسلوى والنعام والعين التي
 ظهرت لبني اسرائيل والشياطين واللباس الذي ألبس آدم
 وحواء وكلام الجبار الذي كلم به بلعام هكذا الحكاية
 عنهم والمسطور في أول سفر من التوراة بالعبرائية * برشت مارا
 اليوهيم اث هشومانم وات هو اورس وهو اورس هو ثو توهم

وحوش على هي تهوم* يقول أول شيء خلقه السماء والأرض
وكانت الأرض جزيرة خاوية مظلمة على الغمر وريح الله ترف
على وجه الأرض كذا فسره المفسرون فلا أدري كيف خالفته
الحكاية عنهم ضمن التورية ولعل بما ذكره في بعض أسفارهم
لأن التورية مشتملة على عدة كتب من كتب الأنبياء والله اعلم
وأما النصارى فدينهم في هذا دين اليهود لأنهم يقرءون التورية
ويقرءون بما فيها والصابئون محرون في مذهبهم فأكثر الناس
على أن دينهم بين دين اليهود والنصارى فإن كان كذلك
فقولهم قولهم وحكى زرقان أن الصابئين يقولون بالنور والظلمة
على نحو ما يقوله المثنائية والله اعلم،

ذكر قول أهل الاسلام في المبادئ وما جاء من الروايات فيها،
حدثنا الحسن ابن هشام ببليد قال حدثني ابراهيم بن عبد الله
النبسى حدثنا وكيع عن الأعمش عن أبي طبيان عن ابن عباس
رضي الله عنه قال أول ما خلق الله من شيء القلم قال أكتب
فقال اى ربى وما أكتب قال القدر فجرى القلم بما هو كائن من
ذلك اليوم الى يوم القيامة قال ثم خلق النون فدحا الأرض
عليها فارتفع بخار الماء ففتق منه السموات فاضطربت النون

فارت الأرض فأثبتت بالجبال وان الجبال تنفجر على الأرض
الى يوم القيامة وحدثنا عبد الرحمن بن أحمد المروزي برو حدثنا
السراج محمد بن اسحق حدثنا قتيبه بن سعد حدثنا خالد بن
عبد الله بن عطاء عن ابي الضحا عن ابن عباس رضى الله عنه
قال أول شيء خلق الله تبارك وتعالى القلمُ فقال له اكتب
ما يكون الى يوم القيامة ثم خلق نون فكبس عليها الأرض
يقول الله تعالى نون والقلم وما يسطرون وحدثني محمد بن
سهل باسوار حدثنا ابو بكر بن زيان حدثنا دعه عيسى بن
حماد [٢٨٧] عن الليث بن سعد عن ابي هانئ عن ابي عبد
الرحمن البجلي عن عبد الله بن عمر عن رسول الله صلعم أنه
قال كتب الله قادراً كل شيء قبل أن خلق السموات والأرض
بخمسين ألف عام وقد اختلفت الروايات عن ابن عباس رضى
الله عنه فروى عنه أول ما خلق الله القلم وروى عنه سعيد بن
حبيب أول ما خلق الله العرش والكرسى وروى أول ما خلق الله
النور والظلمة وروينا خلاف ذلك كله عن الحسن أنه قال
أول ما خلق من شيء المقل وروى عنه أول ما خلق الله

١ Note marginale : كذا في الأصل .

الأرواح وفي رواية أبي الوليد عن أبي عوانه عن أبي بشر عن مجاهد قال بدء الخلق العرش والماء والهواء وولدت الأرض من الماء وحدثني حاتم بن السندی بتكرير حدثنا أحمد بن منصور الرمادي عن عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن عروة عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلعم خلقت الملائكة من نور وخلق الجن من ما يخرج من نار وخلق آدم كما وصف لكم وأما حديث حماد بن سلمة عن يعلی بن عطا عن وكيع بن حرس عن عمه أبي رزين القيلي أنه قال قلت يا رسول الله أين كان ربنا قبل أن خلق السموات والأرض قال كان في عماء ما تحته هواء ولا فوقه هواء ثم خلق عرشه على الماء فبأنه ان صحّ وصحّ تأويل من تأويل الماء السحاب والتمام دلّ أن خلق النعام المذكور في الخبر والقرآن كان قبل خلق السموات والأرض وقد روى أن النبي صلعم قال كتب الله كتاباً قبل أن يخلق الخلق بالنبی عام^١ ووضعه على العرش فإن صحّت الرواية دلّ أن خلق العرش كان قبل سائر الخلق وفي كتاب أبي حنيفة عن حبير عن الضحاك عن ابن عباس رضي

^١ سبقت رجمي غضبي : Interpolation dans le ms.

الله عنه أن الله لما أراد أن يخلق الماء خلق من النور ياقوتة خضراء ووصف في طولها وعرضها وسمكها ما الله به عليم قال فخلقها الجبار لحظة فصارت ماءً يترقق لا يثبت في ضحضاح ولا غير ضحضاح يتمد من مخافة الله ثم خلق الريح فوضع الماء على متن الريح ثم خلق العرش فوضعه على متن الماء فذلك قوله تعالى وكان عرشه على الماء وروى عبد الرزاق عن معمر بن الأعمش عن ابن حُبَيْر قال سألتُ ابن عباس رضى الله عنه عن قوله تعالى وكان عرشه على الماء فلام كان الماء قبل أن يخلق شيئاً قال على متن الريح فإن صحّت الرواية عن الضحاك دلّ أن النون قبل خلق الماء وأما محمد بن اسحق فبأنه يقول في كتابه وهو أول كتاب عُجِلَ في بدء الخلق لقول الله تعالى وهو الذى خلق السموات والأرض في ستة أيام وكان عرشه على الماء فكان كما وصف نفسه تبارك وتعالى إذ ليس إلا الماء عليه العرش ذو الجلال والإكرام والمنة والسلطان فكان أول ما خلق النور والظلمة ميز بينهما فجعل الظلمة ليلاً أسوداً مظلماً وجعل النور نهاراً مُضيئاً مبصراً ثم سمك السموات السبع من دخان الماء حتى استقلن ثم دعا الأرض

وأرسلها بالجبال وقدر فيها الأوقات ثم استوى إلى السماء وهي
 مخزان، لا يختلف أحد من المسلمين ومن يدين الله بالكتاب
 والرسالة أن ما دون الله تعالى مخلوق مُحدث وإن لم يذكر
 خلقه وإحداثه وإنما مرادنا أن نعرف أول ما خلق الله منه إن
 كان ذلك ممكناً منه. اختلف الرواة عن وهب بن منبه وغيره
 من منى [٢٩ ٢٩] أهل الكتاب فروى عن عبد الله بن سلام أنه
 قال خلق الله نوراً وخلق من ذلك النور ظلمة وخلق من
 تلك الظلمة نوراً وخلق من ذلك النور ماءً يخلق من
 ذلك الماء الأشياء كلها وعن وهب بن منبه قال وجدت
 فيما أنزل الله على موسى بن عمران عليه السلم أن الله لما أراد
 خلق الخلق خلق الروح ثم خلق من الروح الهواء ثم خلق
 من الهواء النور والظلمة ثم خلق من النور الماء ثم خلق النار
 والريح وكان عرشه على الماء وسمت بعض الشيعة بزعمون أن
 أول ما خلق الله نور محمد وعلي ويروون فيه رواية والله اعلم
 بحقها وقد ذكرت حكماً العرب ومن كان يدين الله
 منهم يدين الانبياء في أشعارها وخطبها كيف كان مبدأ الخلق

فمنه قول عدى بن زيد المبادى وكان نصرانياً يقرأ
الكتب [بسيط]

اسمع حديثاً لكى يوماً تجاربه عن ظهريب إذا ما سائلُ سألاً
ان كيف أبدى إلهُ الخلق نعمته فينا وعرفنا آياته الأولا
كانت رياحاً وماءاً ذا عُراية وظلمة لم يدع فتقاً ولا خلا
فأمر البظلمة السوداء فأنكشت وعزل الماء عما كان قد شغلا
وبسط الأرض بسطاً ثم قدرها تحت السماء سراً ما فعلا
وجعل الشمس مصيراً لاخفاء به بين النهار وبين الليل قد فضلا
فضى لثثة أيام خلانته وكان آخر شيء صور الرجلا

وقد حكى الفرس عن علماء دينهم ومويزيهم أول ما خلق الله
السموات والأرض ثم النبات ثم الانسان ،
ذكر تصويب أرجح المذاهب ، أقول ان رأى من رأى تقديم
أحد الأركان على غيره هو مُحتل وإي لأنهم يختلفون فى الاستحالة
والفساد وكيف يصح على رأى تاليس الماء وهو عنده مستحيل
من الأرض وعلى رأى براقليطس^٢ النار وهى مستحيلة عنده

١ . Ms. . بقدم .

٢ . Ms. . براقليطس .

من الهواء وكذلك سائر الأركان أم كيف يجوز عندهم تولد حيوان أو تركيب نبات من غير اجتماع هذه الأخلاط الأربع فيها لأن ما تفرّد بطبع واحد لا يوجد منه غير حركته الطبيعية أو من زعم بابتداء البسائط ثم العناصر المركبة فإثمه يفحش قوله لأن البسائط أعراض لا تقوم بذواتها ولا بد لها من حامل فكيف يصبح وجودها بلا حامل وكذلك من زعم النور والظلمة لاثمها عرضان لا جسمان والأصح على مذهب هؤلاء ما رأى اثنادقليس من تقدم الاسطقسات الأربع وفساد هذا ظاهر عند المسلمين بأن الاسطقسات لا تخلو أن تكون أعراضاً فإن كانت أعراضاً فالمرض لا يقوم بنفسه أو يكون أجساماً وحداً الجسم ما ذكرناه واثم الحدث مقارن له أو يكون لا أجساماً ولا أعراضاً فهذا غير معقول عند المسلمين إلا الباري جلّ جلاله فإنه خلاف خلقه من جميع الوجوه وإذا لم تكن [٢٩ ٢٩] أجساماً ولا أعراضاً عندهم فلا بد أن يكون هو الهيولى الموهوم في مذهبه وهذا شيء لو كان موهوماً لما جاز وقوع الاختلاف فيه إلا من معاند كما لا يجوز وقوع الاختلاف في المعقول إلا من معاند مع أن الوهم لا يحصر ما لا حد له ولا صفة من

لَوْنٌ أو مقدر أو شيء من الأعراض المحسوسة وجملة هذا القول في هذا الباب مراعاة اثر الحدث فيما سوى الباري جلّ جلاله فاذا ثبت ذلك علم أن ما كان محدثاً فلا بُدَّ له من ابتداءه واذا كان لا يقول يحدث العالم إلا الموحّدون لم يوجد ابتداء ذلك إلا من جهتهم وهم يختلفون في الرواية عن علمائهم في الظاهر ومتفقون في المعنى إذا انعموا النظر فأتى اهل الكتاب وما حُكِيَ عنهم فحتمل غير أنّه لا يجوز القطع به ما لم يصدقه كتاباً أو خبر نبينا صلعم لما وقع فيهم من التحريف والتبديل ولأنه خلاف ما ذكر في أول التورية في ابتداء الخلق فالذي يوجب العقل أن يكون مكان كلّ متمكّن سابق له وان لا يسيل حركة إلا في جسم ولا يوجد إلا في زمان وان لا يصحّ فعل اختيار وتغيير إلا من حيّ عالم وان لا يحدث شيء إلا من شيء وان الأركان الاربع سابقة للأجسام فمن قال بقدم هذه المذكورات دخل في جملة المخالفين ونقضت عليه آثار الحدث فيها ومذهبه ومن قال بمحدثها فما حاجته الى تقديم ما قدم منها وقد أقرّ بأنّ الله أحدث الزمان من غير زمان والمكان في غير مكان والاركان من غير أركان اللهم إلا ان يُمدّ فيه شيئاً

من كتب الله فليس يمجّد في كتاب أول ما خلق ما هو فيقضى
على ما خالفه بالردّ والإنكار ولأبد كلّ حادث من غاية ينتهي
إليها ككقولنا الساعة من اليوم واليوم من الأسبوع والأسبوع
من الشهر والشهر من السنة والسنة من الزمان والزمان من
الدهر فقد انتهى إلى الزمان والزمان غاية وكما نقول فلان من
فلان وفلان من فلان كما ترفع مثلاً نسب رسول الله صلعم إلى
آدم ثم يقال وآدم من تراب فالتراب آخره وكذلك سائر
الاشياء الحادثة لأبديتها من غاية هذا ما يباينه ويشاهده
فلذلك وضعنا ما روينا عن أهل الكتاب على وجه الاحتمال
فقد ذهب بعض أهل الاسلام إلى أن أول ما أحدث الزمن
العلويّ وهو وقت يظهر فيه الفعل ليس السُفليّ الذي هو من
حركات الفلك ثم المصنوع الذي هو غير متجزئ ولا متماسك
وهو فضاءً وبسيط ذاهب خلاءً مُحيط بالعالم قال وليس الهواء
من الفضاء في شيء لأنّ الهواء جسم متجزئ ومنتشر وليس
الخلاء بمتجزئ ولا محسوس ومعنى قوله التجزئ انّ الخلاء لا
يدخل العالم منه شيء الا يتخلله بثةً والهواء ما بين السماء
والأرض ولا يخلو منه شيء والخلاء ما فيه السماء والأرض

والهواء. ثم الأجسام بأعراضها كذا رأيت في بعض كتبهم
والله اعلم فاذا سأل سائل عن ابتداء الخلق فجوابه أن ما
دون الله مخلوق نعم سؤالك عن العالم العلوي أم العالم السفلي
أم عن الآخرة الموعودة أم عن الدنيا الثانية [٣٥٠٣] لأن كل
شيء من هذه الأشياء ابتداءً منه ابتداءً ونشوءً فإن قيل هل
غير الدنيا والآخرة شيء قيل العرش والكرسي، والملائكة
واللوح والقلم وسدرة المنتهى مخلوقة كلها ولا تدُّ من
الدنيا ولا من الآخرة وكذلك الجنة والنار والصراط والميزان
والصُور والأعراف والرحمة والذاب مخلوقة عند كثير من
الأمم ثم من بعدهم من أهل الكتاب ولا يُعدُّ من الدنيا
ولا من الآخرة فإن قيل فقد قال الله تعالى فلله الآخرة
والأولى ولم يذكر شيئاً غيرها قيل ولم يذكر الأشياء
غيرها مع أكثر أهل التفسير يقولون معناه لله الحكم في
الآخرة والأولى وقد قال رسول الله صلعم ما بعد الموت
مستعيب ولا بعد الدنيا إلا الجنة والنار لأنه لا شيء غيرها
. وإنما يصح هذا إذا عرفت الدنيا والآخرة ما هما على أنه لا عتب

على من عدّ ما ذكرناه من أمر الآخرة ولا مضايقة فيه
 بعد أن اعتقدها كما جاءت به كتب الله وينبئ
 أن يعلم أن كلّاً دون الدنيا روحانيّ حيوانيّ خلق للبقاء
 والخلود على الأبد لا يجوز عليه الانحلال والذئور بقول
الله تعالى وإنّ الدار الآخرة لهى الحيوان لو كانوا يعلمون،

ذكر أول ما خلق في العالم العلوى من الحيوانات يدلّ
 على أن أول ما أوجده الله تعالى القلم واللوح على رواية
 ابي ظبيان عن ابن عباس ثم العرش والكرسى على رواية
 مجاهد وقد قال قائل أن أول ما خلق الروح والعقل
 على رواية الحسن لأنّ فى رواية ابن عباس انه قال
 للقلم اكتب فقال اى ربّ وما اكتب والأمر فى
 الحقيقة والجواب لا يصحّ إلا من حى عاقل قال ثم الحجب
 ومنها النمام والنور والملائكة ثم الرحمة والمذاب يعنى الجنة
 والنار والصراط والميزان وغير ذلك مما ذكر وأول ما
 خلق فى العالم السفلى من الحيوانات الماء والهواء كما
 قال مجاهد وخلقّت الأرض من الماء فهذه أركان العالم
 ثم النور والظلمة ومن الناس من يفرق بين النور العلوى

والنور السفلي بأن هذا جسم لطيف وذلك روح خالص مع
 اختلافهم في الروح أجسم هو أم غير جسم ومسير بك في
 بابه مشروحاً مفسراً ان شاء الله عزوجل فاذا سأل سائلٌ
 مِمَّ خُلِقَ الخلق قيل ان الخلق اجزاء مختلفة فمن أى جزء
 من اجزاء الخلق سؤالك ولن يجاب حتى يشير الى ما
 أردنا فلان سأل عن الأرض قيل من زبد الماء كما جاء
 في الحديث والخبر وان سأل سائلٌ عن السماء قيل من
 دخان الماء وان سأل عن الكواكب قيل من ضوء النهار
 وان سأل عن الأركان المركبة قيل من البسائط المفردات
 وان سأل عن البسائط قيل يمكن أن يكون خلقت مما
 خُلق قبلها ويمكن ان يكون خلقت لا من شيء لانا نرى الله
 يخلق الشيء من الشيء ويخلق من لا شيء وقد دللنا على أن
 لا شيء غير الله تعالى إلا مخلوق وان الله ابتدعه بديناً
 لا من شيء كما شاء ما لا حاجة الى إعادة القول فيه
بقول الله تعالى بديع السموات والأرض وقال الله خلق كل
دابة من ماء وقال الله خلقكم من نفس واحدة وقال
خلق الانسان من صلصال كالفخار وخلق الجن من مادح

من نار مع سائر ما وصفت أنه خلقه من خلق خلقه قبله
 [٣٠ ٣٠] وكذلك يفعل الشيء بسبب ويفعله بلا سبب موجب
قال الله تعالى وانزل من السماء ماء فاخرج به من
الثمار رزقا لكم فأخبر عزّ رجل أنه جعل سبب
اخراج الثمر والنبات إنزال الماء وكذلك جعل سبب
كون الانسان النطفة وسائر ما يوجد ويحدثه وقد
أوجد أمهات هذه الاسباب بغير سبب موجب لها بل بقدرته
وحكمته وان سأل سائل فيم خلق قيل فيم سؤال عن
المكان ولا مكان ألا وهو مفتقر الى مكان وقد سبقت
الدلالة على فساد الحلول بما ليست له نهاية فلو قال
التائل أن العالم لا في مكان لكان قولاً لأنه ليس بأعجب
من إقراره بإيجاد الأعيان لا من غير سابقة وقد قيل
أنه في خلاء وهو مكان له وزعم آخرون أن العالم بعضه
مكان لبعض وفي كتاب وهب بن منبه ان السموات والجنة
والنار والدنيا والآخرة والريح والنار كآها في جوف الكرسي
فإن صحت الرواية كان الكرسي مكاناً لهذه الأشياء والله
اعلم وأحكم،

وان سأل كيف خلق قيل كيف سؤال يقتضى التشبيه في الجواب وليس نعلم للعالم مثلاً غيره فنشبهه به ولكننا مشاهدين له عند احداثه ولا فعل الله تعالى بحركة ولا معالجة والكيفية منتفية عن فعله كما هي منتفية عنه سبحانه فإن اردت كيف أوجده من عدم فكيف تراه اجساماً وجواهر حاملة للأعراض قال له كن فكان كما أخبرنا عنه وإن اردت شكلاً وهيئة لفعله فهذه من حالات الأعراض التي تتعاقب على المخلوقين فإن سأل سائل متى خلق قيل متى سؤال عن المدة والوقت من الزمان والمدة عندنا من حركات الفلك ومدى ما بين الأفعال وقد قامت الدلالة على حدث الفلك ولا يُطلق المسلمون القول بأن الله تعالى لم يزل يفعل لأن ذلك يوجب ازلية الخلق ويؤدى الى قول من يرى الملول مع العلة حتى يكون بين فعل سابق له الى ان فعل العالم مدة وقد زعم بعض الناس انه أحدث زماناً أوجد فيه العالم كمن قال انه أحدث مكاناً أوجد فيه العالم فقال قوم الزمان ليس بشئ وإن سأل سائل لِمَ خلق قيل لِمَ سؤال عن العلة الموجبة للفعل وفاعل ذلك مضطر غير مختار والمضطر مقهور مطلوب ولا يجوز ذلك في

صفة القديم فإن اردت بالعلّة النرض المقصود في الخلق فهو
ما ذكرناه في أول هذا الفصل انه خلق الخلق لرافته
ورحمته وجوده وقدرته لينفعهم وليأكلوا من رزقه وليتقربوا
في نعمته ويستحقوا شرف الثواب بطاعته ،

الفصل السادس

في ذكر اللوح والقلم والمرش والكرسي والملائكة والصُور
والصراط والميزان والحوض والاعراف والثواب والعقاب
والحُجُب وسدرة المنتهى وسائر ما يرويه الموحّدون ممّا يُعدّ
من أمور الآخرة واختلاف من اختلف فيها،

ذكر اللوح والقلم قال الله تعالى في محكم كتابه ن والقلم وما
يسطرون وقال في كتاب مكنون لا يمسه الا المطهرون وقال
وكلّ شيء [٣١ ٣] احصيناه في امام ميين وقال ما فرطنا في
الكتاب من شيء وقال في لوح محفوظ قال أكثر المفسرين
انه لوح وقلم خلقهما الله كما شاء وألمم القلم أن يجرى بما أراد
وجعل اللوح واسطةً بينه وبين ملائكته كما جعل الملائكة
واسطةً بينه وبين رُسُلِهِ ورسله واسطةً بينه وبين خلقه
وهذا لا يختلف فيه موحّدٌ ولا يسوغ الاختلاف فيه لظاهر

النص من الكتاب والسنة فإن خطر خاطر بأنه آية
فائدة في اللوح والقلم فليقل له بأن أسرار حكمة الله عز وجل
عن العباد محجوبة إلا ما أطلعهم عليه وما طوى عنهم فليس
إلا التصديق به والاستسلام له لقول الله عز وجل يخوف الله ما
يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب واعلم ان الكلام في هذا
الفصل مع من يؤمن بالله وملائكته وكُتبه ورُسله لأن هذا
سبيله سبيل الخير والسمع والمسلمون وأهل الكتاب قاطبة قد
تلقوه بالقبول وقد قال قائل أن الله تبارك وتعالى لما أراد
ان يخلق الخلق علم ما هو كائن وما هو مكوّنه فأجرى القلم
به في اللوح وروى فيه اخبار مسطرة في كُتب أهل الحديث
رضينا بما صح منها واستسلمنا له وجاء في ذلك القلم أن طوله
ما بين السماء والأرض وأنه خلق من نور وفي صفة اللوح
أنه لوح محفوظ طوله ما بين السماء والأرض وعرضه ما بين
المشرق والمغرب معقود بالعرش يصبك ما بين عيني اسرافيل
وهو أقرب الملائكة إلى العرش فإذا أراد الله تبارك وتعالى
أن يحدث في خلقه شيئاً قرع اللوح جبهة اسرافيل فأطلع
فيه فاذا فيه ما أراد الله تعالى بقول الله يخوف الله ما يشاء

ويثبت وعنده أم الكتاب فيأمر به جبرئيل أو من يليه من
 الملائكة وأكثر أهل الدين على أن الباري لا يُسَمَّع كما أنه
 لا يُلَمَّس وإنما يُسَمَّع كلامه كما يلمس خلقه هذا قول أهل
 الإسلام وقد ذهب قومٌ من المتسترين بالدين إلى تأويلات
 مكروهات مردودات فزعم بعضهم أن معنى القلم العقل لأنه
 دون الباري جلّ وعزّ في الرتبة وجرى بنفسه لأنّ العقل يدرك
 الأشياء بغير واسطة قال ومعنى اللوح المحفوظ النفس لأنه
 دون العقل في الرتبة يدبرها العقل كما جرى القلم في اللوح
 المحفوظ وزعم أن القلم واللوح غير محدّثين ولا مخلوقين وقد
 دللنا على حدّث العقل والنفس في الفصل الثاني بما يجرى عليهما
 من الزيادة والنقصان والسهو والضعف والثقل^١ والتجزؤ بتفرّق
 الهياكل والأجسام وحاجة العقل إلى التجربة والامتحان وحاجة
 النفس إلى الغذاء والقوام ما فيه كفاية وبلاغ وذلك أن
 القديم الباري لا يجوز عليه شيء من هذه العوارض وزعم
 آخرون أن اللوح هو العالم السفلي والقلم العالم العلوي يؤثر في
 السفلي وبمضهم يزعم أن القلم هو الروح واللوح الجسد وأهون

^١ Ms. والقلة.

الأمر انكار اللوح والقلم وسائر ما وصف من أمر الآخرة
والسدخول في الإلحاد المحض حتى يقع الكلام معهم من حيث
ينبغي أن يقع لأن هذه الأشياء من شرائع الأنبياء عليهم السلام
فكما لم يوجبها العقل فكذلك لا يرده تأويلها إلى العقل
بل تسلم كما جاءت ، وفي رواية سميد بن جبير عن ابن عباس
رضي الله عنهما ان الله تعالى خلق لوحاً محفوظاً من ذرة بيضاء
دقتاه ياقوتة حمراء قله نور وكلامه بر [٣٥١٧] ينظر الله
فيه كل يوم ثلاثمائة وستين نظرة يحيي بكل نظرة ويميت بكل
نظرة ويرفع ويضع ويبرز ويذل ويخلق ما يشاء ويحكم ما يريد
والله اعلم واحكم وقد دللنا لك ان كل ما كان من امر
الآخرة فروحاني حيواني وإن شارك جسمانياً في الأسمى فمن
ذلك قوله ذرة بيضاء وياقوتة حمراء ،

ذكر العرش والكرسي وحملة العرش قال الله تبارك وتعالى
وزى الملائكة حافين من حول العرش وقال ويحمل عرش
ربك فوقهم يومئذ ثمانية فذكر العرش في غير موضع من كتابه
وقال وسع كرسيه السموات والارض فلم يجوز وقوع الاختلاف
فيه بين المسلمين لظاهر شهادة الكتاب وإنما اختلفوا في

التأويل فقال بعضهم أن العرش شبه السرير واستدلوا على قولهم بقوله أيُّكم يأتي بي برشها وقوله ورفع أبويه على العرش وكثير من أهل التشبيه يذهب إلى أنه كالسرير له وهو مذهب أهل الكتاب ومن كان من العرب يدينهم يدل عليه قول أمية بن أبي الصلت [كامل]

شدّ القطوع على المطايا ربنا كلُّ بنعماء الإله متيّد
فاصحن^١ واقترش الرحائل شرح^٢ نفع على اثباجهن مؤنكد
بفصوص يا قوت وكظ برشه هول^٣ وناد^٤ دونه تتوقد^٥
فملا طولات القوائم قاستوى فوق الجلود ومن أراد مخلد^٦

وقال أيضاً [خفيف]

مجدوا الله وهو للمجد أهل^١ ربنا في السماء أمتى كبيراً
ذلك النشي^٢ الحجارة والنو^٣ تى وأحيامهم وسكان جديراً
بالبتاء الأعلى الذى سبق لنا س^٤ وسوى فوق السماء سريراً
شرجياً لا يناله بصر^٥ النا س ترى دونه الملائك^٦ ضوراً

^١ Note marginale : كذا في الأصل .

^٢ Ms. يتوقد .

وقال لبيد [كامل]

لله نافلة الأجل الأفضل وله العلى وليت كل مؤثلي
سرى فأغلق دون غرفة عرشه سبعا طباقا دون فرع المعقل

وقال كثير من المسلمين أن العرش شيء خلقه الله لنتهى علم عباده وتبدي الملائكة بتعظيمه والطواف حوله ومسئته الحوائج عنده كما تعبد الناس بتعظيم النكبة واستباح الحوائج لديها والصلوة^١ له اليها لا أن يكون ذلك مكانا له أو حاملا جلّ وتبارك الباري ان يكون محمولاً او محدوداً او مُحاطاً وبعضهم يقول العرش المُلْك ويتأول قوله الرحمن على العرش استوى قال استولى على الملك واحتج بقول الشاعر [طويل]

إذا ما بنو مروان نلت غروشهم وأودت كما أودت إراد وحينئذ

[٣١ 32] وأما الكرسي ففاق مثل العرش وقد روينا عن الحسن أنه قال الكرسي هو العرش وجاء في بعض الروايات أن الكرسي بين يدي العرش كبدرة بأرض فلاة والسماوات السبع-

^١ الصلاة. Ms.

والأرضون السبع وما فيها بمنجى الكرسى كحاقمة من حلق
 الدرع في أرض فيحاء ومن المسلمين خلق كثير يذهبون إلى أن
الكرسى هو العلم واستدلوا بقوله تعالى وسع كرسية السموات
 والأرض قالوا معناه أحاط علمه بها وبما فيها والكراسى العلماء
 وانشدوا بيتاً
 [طويل]

تَحَفُّ بهم بيض الوجوه وُعُصْبَةٌ كراسى بالإحداث حين تَنُوب

وقد روى أصحاب الحديث أن الكرسى موضع القدمين
 والله أعلم بصدقه وتأويله إن صح لأن مذهبنا تسليم ما
 قصر عنه علما، وأما حلة العرش الملائكة خلِقوا لذلك
 فيُوصَف من اقدارها واجسامها ما الله به عليم قالوا وهم
 اليوم اربعة وجهُ أحدهم على صورة وجه السر والثانى كوجه
 الأسد والثالث كوجه الثور والرابع كوجه الرجل فإذا
 كان يوم القيامة ضُمَّت إليهم اربعة أخرى بقول الله
 سبحانه ويحملُ عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية وفي رواية
 ابى اسحق أن رسول الله صلعم أنشد قول أمية بن ابى
 الصلت
 [كامل]

جس السرافيل الصوائف تحت لا واهن منهم ولا مُستغذ
رَجُلٌ وثودٌ تحت رِجْلِ يمينه والنسرُ للأخرى وليثٌ مرصُدٌ

فقال عليه السلم صدق هكذا الرواية والله اعلم بصدقها
وقد يستدرج أهل الزيف الاغمار من الاحداث بالأول والثاني
والثالث والرابع ينون بالأول القلم وهو عندهم العقل وبالثاني
الروح وهو عندهم النفس وبالثالث العرش وهو عندهم الفلك
المستقيم والضابط للأفلاك وبالرابع الكرسي وهو فلك البروج
عند بعضهم لأن النجمين مختلفون في هذا التقسيم والملائكة
الذين هم حملة العرش الأركان الأربع وهذه الاشياء عندهم
لم يزل ولا يزال فكيف يصح الخبر عنها بالأول والثاني والثالث
لأن كلها أوائل عندهم كما يزعمون وما الفرق بينهم وبين من
عارضهم من المشبهة بأن العرش ممدد والكرسي مُسْتَقَرَّ القدمين
مع وفاق ظاهر اللفظ لتأويلهم لبعده عن تأويل الزائنين
لأننا لم نجد شيئاً في كتب النجمين وأهل الطبائع بأنهم سوا
العقل قلماً والنفس لوحاً والفلك عرشاً يعرفونها باسمائها المشهورة
عند سامعيها ونعوذ بالله من الخزلان والحمران وسوء الاختيار
والهيجز عن إتباع الحق.

في ذكر الملائكة وما قيل في صفاتها، روى المسلمون أن
 الملائكة خلقت من نور وذكر ابن اسحق أن أهل الكتاب
 يزعمون أن الله خلق الملائكة من نار والنار والنور واحد في
 معنى اللطافة والضوء ويمكن التوفيق بين الخبرين بأن ملائكة
 الرحمة خلقوا من نور وملائكة العذاب خلقوا من نار ولا نعلم
 أحدا ممن يدين الله بدين إلا وهو مُقرّ بالملائكة وإن كانوا
 مختلفين في قديمها وحدوثها وهيئاتها فنه قول أمية بن أبي
 الصلت [كامل]

يتنابره المتنصفون بـجـرة في آلف ألف من ملائك^١ يمجد
 [٣٨ 82] رُسلُ مجربون السماء بأمره لا ينظرون ثواءً من يتقصّد
 فهم كأوب الریح بينا أدبرت رنجبت برادى وجبها لا تكرد
 حذ مناكبهم على أصكتافهم زف يزف بهم إذا ما استنجدوا
 وإذا تلاميذ الإله تماوتوا غلبوا ونشطهم جناح مُعْتَد
 نهضوا بأجنحة فلم يتراكلوا لا مُبطلي منهم ولا مُتوغد

واختلف المسلمون في عدم البصر والحواس لهم فمن قائل أن

١. ملائكة Ms.

البصر يفقدهم^١ للطافة أجسامهم واجزائهم لا لون لها البصر لا يدرك إلا ذا لون وكذلك قالوا أليس نحس بها وهي معنا حنطة علينا والهواء أغلظ واكثف من الملائكة فإذا كنا لا نحس به نأخذنا من حركة واضطراب فكيف بالروحانيين الذين هم الطف والطف وقالوا فيما ناقضهم المخالفون به من صفة الله إياهم في كتابه بالظفة والشدة فقال ملائكة غلاظ شداد وما جاء من عظيم صفاتهم وعظم أجسامهم وان الملك كان يأتي النبي صلعم وعلى آله في صورة الرجل وكذلك سائر الانبياء انه غير منكر ان يحدث الله تعالى في الملك شيئا ومعنى يرى ويشاهد إذا أراد ذلك كما يحدث في الجو فيتركب وينتقد غمام من أجزاء الهباء لا يدركها البصر ثم ينحل ويتفرق حتى لا يرى كما كان أولا وكذلك حال الجنة والشياطين وسائر الروحانيين من الخلق وايضا فان الملك سقى هذا الاسم لدؤوبه في الطاعة وانقياده لما يُراد منه تخصيصا وتفضيلا فغير بعيد ان يكون الملائكة أصنافا روحانياً وجسمانياً ونامياً وجامداً وقد جاء في بعض الأخبار أن

^١ تتقدم Ms.

الرعد ملك والنار ملك والملائكة يسجدون جنود الله ورُسُلُه
 وسفراءُه واوليآؤه بقول الله عز وجل ولله جنود السموات
 والأرض وقيل الجراد جند من جنود الله والنمل جند من جنود
 الله ألا ترى أنه لما بلغ معاوية ان الاشرق قد أمر فسقى سماً
 في سويق وعسل قال ما أردتها على الفؤاد إن لله جنوداً
 من عسل وقيل الأرض ملك والسماء ملك حتى عدد اكثر
 أجسام العالم واحتجوا بقول الله عز وجل قالتا اتينا طائعين
 والقول هو الأول فإن كان جائزاً إطلاق اسم الملك على
 هذه الأشياء فيكون مجازاً لا حقيقة ،

ذكر اختلاف الناس في الملائكة ما هي أما المسلمون وأهل
 الكتاب فيقولون هم خلق روحانيون كما ذكرناه آنفاً
 وكان مشركوا العرب يزعمون ان الملائكة بنات الله وانه
 صاهر الجن فولدت له قال الله تعالى وجعلوا الله شركاء الجن
 وخالقهم وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن آتاتاً وقالت
 الحرائية الملائكة النجوم وهي المدبرات للعالم وهو أحدث
 الباطنية فزعمت انها سبعة واثنا عشرة وتأولت قوله عليها
 تسعة عشر والخرمية يُسمون رُسُلهم الذين يرددون فيما بينهم

ملائكة وآما المجوس فلا يُنكرون الملائكة وانهم خلق
غائب عنهم ويسمونهم شتاسبندان في ملتهم الإقرار بهم
والتصديق وزعم قوم أن الملائكة هي النفوس الصافية وذلك
أن الإنسان اذا بالغ في الارتياض [٣٣ ٣٠] بمعرفة حقائق
الاشياء واجتهد في اقتناء الفضائل واختيار المحامد اتصل بالعالم
العلوي فصار عند مفارقة الهيكل عقلاً خالصاً ونفساً صافيةً
فيستونه حينئذ الملك قالوا واقصى الدرجات في الأسفل
النبوة وهي تُنال بالعلم والعمل وفي الأعلى الملائكة وهي
ينالها من نال النبوة في الأسفل وزعت فرقة أن الملائكة
أباض من الله واجزأء وعندهم أنه تبارك وتعالى شيء بسيط
روحاني وسأهم أمة في شعره تلاميذ الله وأعوانه مع
مقالات كثيرة متباينة وليس هذا الباب مما يُدرك بالعقل
ولكنه يُعرف فإذا كان هذا سبيله فلا معنى لرد ما سبيله
الخبير إلى غير الخبر،

ذكر صفات الملائكة روى ابن اسحق الواقدي أن النبي
صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال ألا أحدثكم عن ملك
من ملائكة الله أذن لي ربي في الحديث عنه قالوا بلى يا رسول

الله قال إنَّ لله ملكًا قد نفذ بقدمه الأرض السفلى ثمَّ
خرج من هوآء ما بين ذلك حتَّى أن هامت له تحت العرش
والذى نفس محمد بيده لو سُخِّرَت الطير فيما بين عنقه الى
شحمة أذنه لحفت فيه سبعائة عام قبل أن يقطعه وروى ابن
جُرَيْج عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنه أن النبي صلعم
قال لجبرئيل إني أحب أن أراك في صورتك التي تكون عليها
في السماء قال لا تقوى على ذلك قال بلى قال فأين
تُحب أن أتخيل لك قال في الأبطح قال لا يسعني قال
برفات قال ذلك بالحرى فواعده^١ ذلك وخرج النبي
صلّى الله عليه وعلى آله وسلم للوقت فاذا هو بمجربيل قد اقبل
من جبال عرفات وقد ملأ بين المشرق والمغرب وسد الخافقين
رأسه في السماء ورجلاه في الأرض وله كذا ألف جناح ينتثر
منها التهاويل فلما رآه النبي صلعم خرّ منشيًا عليه فتحول جبرئيل
عن صورته الى صورة التي كان يأتيه فيها وهي صورة دُجبة
الكلبي وهو ابن خليفة بن فروة الكلبي فضمه الى صدره
فلما أفاق قال ما ظننتُ أن لله تعالى خلقا يشبهك قال يا

^١ فواعده Ms.

محمد فكيف لو رأيت اسرافيل رأسه من تحت العرش ورجلاه
في تخوم الأرض السابعة وان العرش لى كاهله وانه يتضال
أحياناً من مخافة الله تعالى حتى يصير كالصخرة وما يحمل عرش
ربك إلا عظمته وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال ان لله
ملكاً البحار كآها في ثرة إبهامه وعن كعب الاحبار انه قال
ان لله ملكاً السموات على منكبه يدور بها كما تدور الرحا
وعن ابن مسعود رضى الله عنه في صفة ملائكة العذاب
قال ما منهم ملك الا ولو أمره الله أن يلتقم السموات
والأرض وما فيهما من شئ. لهان ذلك عليه لما عظم الله من
أجسامهم. وقد جاء في صفة ملائكة الرحمة وملائكة العذاب
وصفة جبرئيل وميكائيل واسرافيل وملك الموت وغير هؤلاء
من الملائكة ما يتقده المؤمن الإيمان به والتسليم له وجاء
في صفة حملة العرش أنهم ملائكة قدر قدام أحدهم مسيرة
سبعة ألف سنة ولهم قرون كقرون الوعول وقيل العرش
على كواهلهم وقيل على مناقبهم ناشية في العرش والله أعلم
وأحكم ، وروى ابو حذيفة عن مقاتل عن عطاء ان الله يبعث

جبرئيل كل يوم الى جنة عدن فيمس بجناحيه في نهرها ثم
يحيى فينفضها [٣٣ ٧] فيسقط من كل جناح سبعون ألف قطرة
يخلق الله من كل قطرة ملكا قال وما يقطر من السماء الى
الأرض قطرة ألا ومها ملك ينزل الى الأرض ثم لا يموت اليها
قال وما في السموات موضع شبر إلا وفيه ملك قائم أو ساجد
او راكع لم يرفع رأسه منذ خلق فاذا كان يوم القيامة رفع رأسه
فيقول سبحانك ما عبدناك حق عبادتك قال ولله ملك
موكل بالبحار فاذا وضع قدمه في البحر مدّ واذا رفقها جزر
قال والملائكة أربعة جبرئيل ملك الرسالة واسرافيل ملك
الصّور وعزرائيل ملك الموت وميكائيل ملك الرزق وروى عن
علي بن ابي طالب رضی الله عنه انه قال الرعد ملك
موكل بالسحاب يسوقه من بلد الى بلد معه كذا من حديد
كلما خالفت سحابة صاح بها والبرق مصممه السحاب به وروى
ابن الأنباري في كتاب الزاهر ان السحاب ملك يتكلم بأحسن
الكلام ويكي ويضحك والرعد كلامه والبرق ضحكه والمطر
بكاؤه وعن كعب لولا ان الله وكل بطعامكم وشرابكم في نومكم
ويقتلکم من يذب عنکم ليحفظکم بقول الله تعالى له معقبات

من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر [الله] وروى هشام
ابن عمارة بن عبد الرحيم بن مطرف عن سعيد بن سلمة عن
ابان عن انس رضى الله عنه ان النبي صلى الله عليه وآله
ملكاً له ألف رأس في كل رأس ألف وجه في كل وجه
ألف فم في كل فم ألف لسان يُسبح الله ويُقدسه كلُّ
لسان بألف لغة من التسبيح فهذا وما أشبهه موقوف على
صحة الخبر وصدق الراوى إذ ليس يمتنع عن البارئ سبحانه
وتعالى شئٌ وما عسى أن يقوله قائل وهو مُصدق بابتداع
الله أعيان هذا العالم لا من عين سابقة فمن لم يعجز عن هذا
فليس عن أعجب منه باجز واذا كانت أحوال الملائكة كما
وصفنا من إطلاق اسم الملائكة على الجماد والموات فغير بديع
ما حُكى عنهم وقد قيل الريح ملك وقيل من نَفَس مَلَك
وأذْكَرُ أتى حاجتى رجل من البهاريديّة^١ وهم صف من
المجوس أطلقهم للغير والفهم عن الأذى فى دفننا موتانا ما تمنينا
بذلك فقال ان الأرض مَلَكُ وانتم تلقمونه الموتى فكيف
تستحسنون ذلك وقد يرى بعض الناس ان الشياطين كلُّ

^١ البهاردية Ms.

شريف داعر^١ والملك كل خير فاضل ومذهب الدماير ما
حكيانه ووصفناه،

القول في الملائكة أمكفون أم مجبورون وهم أفضل أم
صالحو المسلمين قال قوم هم مضطرون الى افعالهم مجبورون
عليها ورؤى عن ابن عباس أنه قال في قوله يُسبِحون
الليل والنهار لايفترون ان التسييح لهم بمنزلة النفس لنا
وقال آخرهم مككفون مجبورون لأن الله تعالى يقول
ومن يقل منهم إني إله من دونه فذلك نجزيه جهنم ولايصح
الوعيد على غير المقدور عليه وقد قال أنى جاعل في الارض
خليفة قالوا اتجمل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح
بحمدك ونقدس لك قال انى اعلم ما لا تعلمون فدل هذا
القول منهم على اختيارهم وقال لا يبيسون الله ما امرهم
ويقولون ما يؤمرون ولولم يكونوا قادرين على المعصية لما كان
يمدحهم بترك المعصية ومعنى قوله يسبحون الليل والنهار لايفترون
مدح لهم على المواظبة على الطاعة أو لا يقطعهم عنها ما يقطع
الناس من الحوائج والأشغال وقول ابن عباس رضى الله عنه ان

^١ Ms. marg. كذا في الأصل

التسبيح سهلٌ عليهم كالنفس [٤٠ ٣٤ ٣٥] في سرعة الموائاة
 والمطاوعة ويجوز ان يكون من تسبيحهم ما هو اضطرار ومنه
 ما هو اختيار فان قيل اذا كانت الطاعة منهم باختيار فهل لهم
 على ذلك من ثواب فمن قائل ان ثوابهم تقريب المنزلة
 ورفع الدرجة وآخر انه زيادة القوة على الطاعة وتجديد الجِدَّة
 والنشاط في العبادة وآخر انه اخدامهم أهل الجنة وليس
 الشواب ككله المظمُ والمشربُ لانهم ليسوا بذوى أجسام
 مجوّفة فيلجئهم الحاجة الى ما يحتاج اليه ذوو الاجسام المجوّفة
 وقد قيل أن ثوابهم ان يستجيب دعاؤهم في الموحدين وذلك
قوله تعالى الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد
ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل
 شيء رحمةً وعلماً الآية فطاعتهم مذُخلقوا ان يستجاب في
 الموحدين ولهم مسئلة وتضرع وطاعتهم بعد ذلك بشكر
 وبرف^١ واختلفوا في الملائكة وصالحى المؤمنين أيهم أفضل
فذهب كثير من المسلمين إلى تفضيل الملائكة واحتجوا
بقوله تعالى قل لا اقول لكم عندى خزائن الله ولا اعلم الغيب

^١ كذا في الأصل. Indication marg.

ولا أقول لكم انى ملك وقوله تعالى فيما يحكى عن الشيطان
ما نراكم ربكما عن هذه الشجرة ألا ان تكونا ملكين
او تكونا من الخالدين وقول صواحب يوسف ما هذا بشراً إن
هذا إلا ملك كريم وقوله تعالى لا يمضون الله ما أمرهم ويفعلون
ما يؤمرون وقوله تعالى يستجون الليل والنهار لا يفترون وقوله
ولقد كرّمنا بنى آدم وحملناهم فى البرّ والبحر ورزقناهم من
 الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً فلما لم يُهَلْ على
 من خلقنا علما ان هاهنا من هو أفضل منهم قالوا وهل
 يستوى حال من لا يصى قطّ وحال من لا يتعرى عن معصيته
 وكيف بفضيلة عمل من أقضى عمره مائة سنة وفضيلة من
 عمره الأبد وذهب إلى أن صالحى المؤمنين أفضل لمكابدتهم
 مشقة الطاعة مع منازعة الشهوة وممانعة الشيطان والعمل
 بالتيب خوفاً وطمأناً وأنى يقع طاعة من أصفى عن شوائب
 الهوى وأخلص من مزاحمة الشهوة وأمدّ بظل العصمة وحرس
 من الوسوس من طاعة مجبول على الهوى مطبوع على الشهوات
 موكل به اعداء من نفسه وجنسه وشيطانه وإنما يستحق

العمل تمام الفضيلة باحتمال الكذب والنفاق والمشقة فيه قالوا
 وليس ينكر^١ ان الملائكة أفضل من الناس ومن كثير من
 أهل الاسلام حتى تكرمنا^٢ ما تلاه خصنا من الآيات وإنما
 تفضينا فاضلي المؤمنين وصالحهم وقد أسجدهم الله لصفته
 آدم عم فهلا كان ذلك على سبقة بالفضيلة وقال جل
وعز وان تظاهرا عليه فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح
المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير فقدم صالحى المؤمنين
 بالذكر لفضيلتهم على كثير من الملائكة وليس فى وجوب
 الإيمان بهم أكثر فضيلة من وجوب الإيمان بالمؤمنين قال
 الله عز وجل يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين ثم هم مع ذلك
 خول^٣ لبني آدم وحفظة عليهم وقد روى فى الحديث ان
 الملائكة سألو الجنة فقال الله سبحانه لا أجعل صالح
 من خلقت بيدي كمن قلت له كن فكان وروينا عن كعب
 أنه قال ركب الله فى الملائكة العقل بلا شهوة وفى
 الهائم الشهوة بلا عقل وفى ابن آدم كليهما فمن غلب عقله

١ Ms. تنكر.

٢ Ms. تكرمنا.

شهوته فهو خير [٣٥ 34] من الملائكة ومن غلب شهوته
عقله فهو شرٌّ من البهائم واحتجَّ بعض المتأخرين بقول شاعر
يمدح ابن موسى الرضا ويقال هي لأبي نواس [خفيف]

قيل لي أنت أرحمُ النَّاسِ في كُـلِّ مقالٍ من الكلام النَّبيِّ
لك من جيد الكلام نظامٌ يُبجِّتِي الدُّرَّ من يَدَي مُجْتَنِبِيهِ
فلماذا تركتَ مَدْحَ ابنِ موسى والحِصَالَ التي يجمَعْنَ فِيهِ
قُلْتُ لا أهتدى لمَدْحِ إمامٍ كان جبرئيلُ خادِمًا لأبيه

ذكر ما جاء في الحجب اعلم ان الحجاب لا يوجب حياءً على
الارسال لان الله محبوب عن خلقه ولا يطلق القول بأنه
محدود لأن الحجاب يحتمل وجوهاً من الماني وروى وهب بن
ابي سلام سأل رسول الله صلعم هل احتجب الله بشيء عن
خلقه غير السموات فقال نعم بينه وبين الملائكة الذين
هم حملة العرش سبعون حجاً من نور وسبعون حجاً من نار
وسبعون حجاً من ظلمة حتى عد خمسة عشر وفي حديث المراج
فانتهيت إلى بحر من بحر اخضر فنودي ان ارح محمدًا في
النور رجا وذكر عدة بحار من أنوار ومن المسلمين من يستعظم

القول بالحجاب كيف وقد روى حماد بن سلمة عن عمران
الحراني عن زرارة بن أوفى قال قال رسول الله صلعم
يا جبرئيل هل رأيت ربك قال يا محمد بيني وبينه سبعون
حجاباً من نور لو دتوت من أذناها لاحتقت وفي حديث ابي
موسى الأشعري لو انكشفت سُبُحات وجهه لاحترق ما عليها
من شيء ويسير هذا كله ما روى عن الحسن انه قال
ليس شيء أقرب إلى الله تعالى من اسرافيل وبينه وبين رب
العرزة سبع حجب من حجاب العزة وحجاب الجيروت والعظمة
ولست مما يوجب الحد في الاحتجاب لأنها ليست بأجسام
حاملة بين الحاجب والمحجوب ولكنه يمثل في بُعد وقوع
الحواس وقطع الاطماع في الإحاطة به والاختصاص بالعظمة
والسلطان دون خلقه ومثل هذا المبلغ عند العباد وتعظيم الباري
وتفخيم قدره للرغبة إليه والرغبة منه اذا اكثرهم يرون ما
لا يُدرّكه حواسهم ولا يتصور في أوهامهم باطلاق لا شيء
ويدل على هذا التأويل ما روى في الخبر العظمة إزارى
والكبرياء ركابي^١ فمن نازعنيهما ألقيته في النار ولا أبالي فهل

^١ ردائي Ms. en marge

يعرض لسامع شك في أن العظمة لا يتزر بها والكبرياء لا يتردى
بها ولكن الوجه ما ذهبنا إليه والله اعلم، وصفة الحُجب
موجودة في أشعارهم قال بعضهم [طويل]

لك الحمدُ والنعماءُ والشكْرُ رَبَّنَا فلا شيءَ أَعْلَى مِنْكَ حَدًّا وَأَمَجْدُ
مليكٌ على عرشِ السماءِ مُهَيَّبٌ لِعِزَّتِهِ تَعْنُوا الرَّجُوهُ وَتَسْجُدُ
فلا بَشَرٌ يَسُوهُ بِطَرْفِهِ وَدُونَ حِجَابِ النُّورِ خَلَقَ مُؤَيَّدُ

ذكر ما جاء في سدرة المنتهى وهي مذكورة في كتاب الله
عز وجل روى أنها على هيئة شجرة [٣٥٣] ^١ يمر الراكب في
ظل قَتْنٍ منها ^١ ستة قبل ان يقطعها ثمها كالتلال وورقها
كأذان الفيلة يأوى إليها أرواح الشهداء والصديقين في
صورة فراش من ذهب بقول الله عز وجل عند سدرة المنتهى
عندها جنة المأوى اذ يغشى السدره ما يغشى وقد ذكرها
حَسَّانُ في شِعْرِهِ

مقامٌ لدى سِدْرَةِ الْمُنتَهَى لِأَحْمَدَ لَا شَكَّ لِلْمُرْتَضَى

^١ كذا في الأصل Lacuna; note marginale

وقوله تعالى عندها جنة المأوى يردُّ قول من يزعم أن السدرة
 الشجرة التي كان النبي صلعم [تحتها بحراء] اذ نزل عليه جبرئيل
 بالوحي اللهم الا ان يشبهه بقوله [إن منبري هذا [نز]عة
 من نزع الجنة وقوله عم بين قبري ومنبري روضة من رياض
 الجنة فيكون مذهباً وكذلك قوله عم الجنة تحت ظلال
 السيوف غير أن الاخذ بالظاهر على القول الأول أعرف
 وأشهر والاخبار به أكثر قالوا وإنما سُميت سدرة المنتهى
 لأنها منتهى علم العلماء فلا يعلم أحدٌ من الملائكة والأنبياء
 ما وراءها إلا الله وحده وسمتُ بعض القرامطة يتأولها سلمهم^١
 بحراء محمد صلعم ما علمه وأفشاه السر إليه لما رأى فيه من
 الامارات وتوسَّه فيه فضَّ الله أفواههم وخيب آمالهم،

ذكر الجنة والنار لا أعلم أحدًا من أهل الأديان يُنكر
 الجزاء من الثواب والعقاب وان اختلفوا في صفته واسمه
 ومكانه ووقته لأن في ابطال الجزاء ابطال الأمر والنهي
 والوعد والوعيد وإجازة اهمال الخلق وارسالهم ويؤدى ذلك

^١ Addition marginale.

^٢ Lacune.

^٣ كذا في الأصل Note marginale

إلى تسفيه الصانع وتجهيله أو الإلحاد والتعطيل وهذه المسئلة
مُملّقة بأصل التوحيد وذلك أنه لما قامت الدلالة على
إثبات البارئ جلّ وعزّ وقدرته وحكمته لم يميز أن يكون
شيء من أفعاله غير حكمة وصواب فملنا أن الحكيم لم
يخلق هذا الخلق عبثاً ولا لعباً ولا سهواً ولم يأمرهم ولم
ينهم إلا للثواب الذي عرضهم له والمقاب الذي حذرهم
وحاشى لله سبحانه وتعالى على أن نظنّ به غير الحقّ فالجزاء
يوجب موجب التوحيد وحجته حجته ثم لطباق أكثر أهل الارض
على الإقرار به من أعظم الحجج اذا كانت المعارضة يكشفها
حجة العقل واجتماع الخلق فأى عذر بمدّها لمتخالف عنها أو
مائل الى ضدّها وان أحسن من نفسه بنفرة فأولى به أن
يتم عقله دون عقل المؤمنين والأئم والأجيال فأما القول في
أثية الجزاء وماهيته أجنة ونار [ام] غيرهما فشى يتبع فيه الاخير
ولو شاء الله يميز بغيرهما كما شاء ولكن المعلوم من الثواب
التمّة والاعتباط والمعلوم من العقاب المكروه والنكال ولا نعمة
أعظم من دوام البقاء ولا عقوبة أبلغ من النار التي هي
آكلة الأضداد

ذكر اختلاف الناس في الجنة والنار قرأت في شرائع
الحرانية أن البارئ عز وجل وعد من أطاع نبيًا لا يزول
وأوعد من عصى المذاب بقدر استحقاقه وهذا ناموس أكثر
القدماء ومنهم من يزعم أن النفس الشريفة التي عاثت في هذا العالم
وأفسدت وآذت إذا فارقت هيكلها حُبست في الأثير وهي نار
في أعلى علو العالم والنفس الخيرة التي استفادت الفضائل تعود
إلى عنصرها الأزلي ومنهم من زعم أن الفاضل يلو في العلو
والراذل يتسافل فيبقي في الظلمة والحمود وقد قال
ارسطاطاليس [٣٥ ٧٠]. إن العلو الأعلى محل الخلود وإن السفلى
الاسفل محل الموت وعامة أهل الهند يُقرّون بالجزاء والذين
يهلكون أنفسهم بأنواع المذاب من القتل والحرق والغرق
يزعمون أن جوارى الجنة يختطفنه قبل زهوق نفسه وأما
أثبت هذا لأبين لك إقرارهم بالجنة في كفرهم وجهلهم
وأهل الكتاب مُجمعون على الإقرار به لأن ذكر الجنة
والنار في غير موضع من كتابهم إلا أنهم مختلفون في صفاتها
بالجنة فتسى بالبرانية برديسا وبالبرية كنعاذن ويزعم طائفة

١ Ms. ستل ; la bonne leçon est donnée en marge.

من اليهود أنه إذا كان يوم القيامة أظهرت جهنم من وادي
 ' وأحرثت نارا في الوادي ونُصِب عليه جسر وأظهرت
 الجنة من ناحية بيت المقدس وأمر الخلق أن يسيروا عليه
 فمن كان منهم برئا جرى مثل الريح ومن كان منهم آثما تهاقت
 في النار وزعمت فرقة منهم أن الجنة والنار يفنيان وذلك
 بعد ألف سنة من وقت أن صار الناس إليهما ثم يصير أهل
 الجنة ملائكة وأهل النار رميما وزعم آخرون أنهما لا يفنيان
 أبداً وأما التناسخ وأتهم يرون الجزاء في النسخ والمسح
 ويزعمون أن من استمر على طبع من طباع السباع والبهائم حول
 الى صورته عقوبة له ومن تهاطى الحق وكف عن الأذى
 وتجل بالجميل حول في صورة ملك أو قائد أو رئيس وهذا
 مذهب كثير من القدماء، ومن المطللة من لا يُنكر الجزاء
 في الدنيا بالفقر والفاقة والآلام والأحزان ما ارتكبه من
 قبيح والسمة في الدنيا والراحة والفرح واللذة جزاء ما عمله
 من جميل ويزعم السنية من المشوود أن من كان قليل الخير

' Lacune remplacée dans le ms. par trois points & et note marginale كذا في الأصل.

يصير كاسف البال رث الهیئة یأتی لأبواب فلا یتصدق علیه
ومن كان كثير الخیر یصیر مایکنا عظیماً عزیزاً فمن أطعم الطعام
أصاب القوة لأن البدن تقوی بالطعام ومن كسا الثیاب أصاب
الجمال ومن أوقد فی الظلم أصاب حُسن العیش لأن الصباح
یطرُد الظلمات ،

ذكر اختلاف المسلمين فی الجنة والنار اعلم أنهم فیها علی
ثلاث فِرَق فرعت المعتزلة إلا أبا الهذیل وبشر بن المتمر أنهما
لم یخلقا بعدُ وأنهما یخلقان یوم القيامة واجاز النجار أن یكونا
خُلقتا وأن لم یخلقا بعدُ وانما یخلقان یوم القيامة وقال
سائر المسلمین أنهما مخلوقتان مفروغ منهما واحتجوا بآی من
القرآن وأحادیث من السنة فنما قبل ادخل الجنة قال یألیت
قومی یلمون وقوله تعالى ولا تحسبن الذین قتلوا فی سبیل
الله امواتاً بل احياء عند ربهم یرزقون وقوله تعالى وجنة
عرضها السموات والارض أعدت للمتقین فهل یجوز أن یعد غیر
مخلوق وجاء فی الحدیث أن الله خلق الجنة کذا وكذا بصفات
مضبوطة فی الكتب وقال واتقوا النار التي أعدت للكافرين
وقال النار یرضون علیها غدواً وعشياً وقال ویا آدم اسکن

انت وزوجك الجنة وقال مخالفوهم أن الجنة والنار ثواب
وعقاب والثواب والعقاب لا يستحقان إلا بعد وجود الأعمال
الموجبة لهما قالوا ولو كانت الجنة مخلوقة فأين مكانها وهي
لا تسها السموات والارض لقوله عرضها السموات والارض
وتأولوا كل ما في القرآن والسنة من ذكرهما على العدة
المنتظرة وقد قال الله عز وجل. ان الأبرار لفي نعيم وان
الفجار لفي جحيم فأخبر عنهم وليسوا في الوقت قالوا وغير
ممتنع على الله تعالى أن يخلق كل يوم جناتاً ويفنيها أو
يبقيها^١ [٤٠ ٣٨ ٣٧] كما يشاء وان ينعم أرواح الطيبين في جنة
بمخلقها لهم أو في غير جنة ويعذب أرواح الظالمين في نار أو
في غير نار وقالوا وقد سبقت عدته في افناء ما خلق وثوابه
وعقابه غير فائنين أبداً فإن كانوا موجودين فلا بُد من
فنائها وذلك خلاف وعده فلا مبدل لكلماته قال خصمآؤهم
ليست الجنة والنار ثواباً ولا عقاباً إنما مقر الثواب والعقاب
فيهما يُثاب ويُعاقب والاستثناء قد تناولهما من الفناء والهلاك
لقوله إلا ما شاء ربك ولحكمه عليها بالسرمدية

^١ . فيها Ms.

والأبدية وكما أنه وعد ان يُفنى الخلق فكذلك وعد أن لا يفنيهما ثم اختلف هولاء في مكان الجنة فقال بعضهم هي في الآخرة والآخرة مخلوقة وقال بعضهم بل هي في عالم لها ولله عوالم الخلق ما يشاء وقال بعضهم بل هي في السماء السابعة سقفها عرش الرحمن وروى خيراً وزعم بعضهم أنها مخلوقة ولا يُدري أين هي وليس يجب أن يمكها الله في مكان كما أمسك العالم لا في مكان قالوا والنار تحت الأرض السابعة السُّفلى وروى فيه خيراً

ذكر صفة الجنة والنار أجمع ما في القرآن لوصفها قوله
تعالى وفيها ما تشتهي الانفس وتلذ الأعين وانتم فيها
خالدون وأجمع خبر فيها خبر ابى هريرة رضى الله عنه عن
النبي صلعم فيما يحكى عن ربه عز وجل أعددت لبادى
الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على
قلب بشر وبأله ما اطلعتم عليه قال ابو هريرة رضى
الله عنه ومصدق هذا فى كتاب الله عز وجل فلا
تعلم نفس ما أخفى لهم من قرّة أعين جزاء بما كانوا يعملون
 ورواه حمزة بن حبيب عن المشهال بن عمرو عن محمد بن

الحنفية^١ أن النبي صلعم قال حدثوا عن الجنة بما شئتم قلن
تحدثوا عنها بشيء إلا وهي أشد منه فمن هاهنا استجاز من
استجاز صفة الجنة والنار بما لم يأت في الرواية لأن الوصف
وإن أفرط في الوصف لم يمد مدى خاطر همته وغاية معرفته
لا يبلغ كنهه ما فيها ولا يعضه لأن نعم الله ونعمه فوق ما يُحصى
المُحصون إذ لا غاية لها ولا نهاية أبداً وقد سُئل رسول
الله صلعم عن أهل الجنة فقال جردٌ مُردٌ مكملون من أبناءِ تلك
وثلاثين سنة هذا من طريق حماد بن سلمة عن علي بن مريد
عن المسيب عن أبي هريرة وفي رواية أخرى من أبناءِ تلك
وثلاثين سنة على سنّ عيسى وصورة يوسف وقلب إبراهيم
وطول آدم وصوت داود ولسان محمد صلى الله عليه وعليهم
اجمعين وقال أبو هريرة إن أهل الجنة ليزدادون جمالاً وحُسنًا
كما يزدادون في الدنيا قباحةً وهرماً وأنكر قوم من أهل
الكتاب الأكل والوطئ في الجنة وذلك أن منهم من
لا يرى البعث إلا للأرواح فكذبهم الله في القرآن بذكر
الطعام الحواري التي وصفها في الجنة وروى^٢ عن النبي صلعم

^١ الحنفية Ms.

^٢ Ms. ١١١٠

لما يذكر الجنة قال إن الرجل منهم يُعْطَى قُوَّةَ أَلْفِ رَجُلٍ فِي
الطَّامِ وَالْجَمَاعِ قَالُوا وَكَيْفَ الْمَسِيءُ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ دَحْمًا
دَحْمًا إِذَا قَامَ عَنْهَا رَجِمَتْ مَطَهْرَةً بَكَرًا بِذِكْرٍ لَا يَمْلَأُ وَفَرَجٍ
لَا يَمْحَى وَشَهْوَةٌ لَا تَنْقَطِعُ فَقَالَ يَهُودٌ مَنْ أَكَلَ يَنْوُطُ فَقَالَ
النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [٣٨٨ ٧] وَلَا يَتَغَوَّطُونَ وَأَمَّا هُوَ عَرِقٌ يَفِيضُ مِنْ
أَعْرَاضِهِمْ مِثْلَ الْمِسْكِ فَتُضَمَّرُ لَهُ بِطَوْنِهِمْ وَسُئِلَ عَنِ النَّوْمِ
فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النَّوْمُ أَخُو الْمَوْتِ وَأَهْلُ الْجَنَّةِ لَا يَمُوتُونَ وَسُئِلَ
عَنِ الْوَلَدِ قَالَ فَتْنَةٌ وَرُؤْيُ أَنَّهُ قَالَ لَوْ أَرَادُوا لَكَانَ حَمْلُهُ
وَوَضْعُهُ وَنَشْوُهُ فِي سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ وَسُئِلَ عَنِ الْمَرَأَةِ الَّتِي يَكُونُ لَهَا
زَوْجَانِ لِمَنْ تَكُونُ فِي الْجَنَّةِ فِي رِوَايَةٍ حَذِيفَةَ أَنَّهُ قَالَ
تَكُونُ لِأَخْرِ زَوْجَيْهَا وَلَمَّا خَطَبَ مَعَاوِيَةَ أُمَّ الدَّرْدَاءِ قَالَتْ
لَسْتُ أَبْنَى بِأَبْنَى الدَّرْدَاءِ بَدِيلًا سَمِعْتُهُ يَقُولُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَرَأَةُ لِأَخْرِ زَوْجَيْهَا وَلِذَلِكَ جُرِّمَ أَزْوَاجُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ بَعْدِهِ لِيَكُنَّ أَزْوَاجَهُ فِي الْجَنَّةِ وَرُؤْيُ عَنِ الْحَسَنِ أَنَّهُ
قَالَ تَخْيِيرُ الْمَرَأَةِ فَتَخْتَارُ أَحْسَنَهُمَا خَلْقًا وَسُئِلَ ضَمْرَةُ بْنُ حَبِيبٍ
أَيَدْخُلُ الْجَنَّةَ فَقَالَ نَعَمْ وَاسْتَدَلَّ بِقَوْلِهِ تَعَالَى لَمْ يَطْمِئِنَّ أَنْسَ

١ Ms. تكون.

قلبهم ولاجان فلباس انسيات ولجين جيتيات وسئل ابو العالية
 عن اوقات الجنة قال كمثل ما بين طلوع الفجر الى طلوع الشمس
 لاشمس فيها ولا قمر ولا ليل ولا نهار وهم في نور أبداً وإنما يعرفون
 مقادير الليل والنهار بارخاء الحجب وفتح الابواب وسئل الحسن
 عن الحور العين فقال عجائزكم هولاء العنس الرّمص وتلا
انا انشائهن انشاء فحملناهن ابكاراً الآية فقال ويمطون
 أزواجاً غيرهن من الحور العين وفي حديث ابن المبارك عن
 رشيد بن سعد عن ابن أنعم ان من دخل من نساء أهل الدنيا
 الجنة فضلن على الحور العين بما عملن في دار الدنيا وهذه
 الأخبار أتينا بها لشهرتها عند عوام الأمة واستغنائها عن الأسانيد
وسئل عن قوله عز وجل وفيها ما تشبه الأنفس وتلذذ
 الاعين فلو اشتت ما يستقبجه العقول كالقتل والنصب
 والظلم ونكاح الاخوات والبنات فأجابهم المسلمون بأن هذا
 وما أشبهه مما لا يشتهون في الجنة لأنّها ليس فيها كما
 لا يشتهون الموت والمرض والذلّ والفاقة لأنّها ليست فيها
 فتحبس طباعهم عن التشوّق إلى ما يستقبج في العقول وينسون

١ Ms. العضب.

ذكرها واعلم هداك الله أن كل ما وصف به من ذهبها
وفضتها وجواهرها وطيبها وطعامها وسائر ما وصف منها كلها
على الحقيقة في الاسماء الكثيفة كما خلقت جواهر الأرض
وثمارها بقول الله عز وجل وإن الدار الآخرة لهي الحيوان لو
كانوا يعلمون وروى عن ابن عباس رضی الله عنه عن أسامة بن
زيد عن النبي صلعم أنه سُئل عن الجنة فقال نور يتلألأ
وحدثنا الحسن بن هشام العبسي عن وكيع عن الأعمش عن ابن
عباس رضی الله عنه قال ليس في الجنة شيء مما في الدنيا
إلا الاسماء،

ذكر صفة النار وأهلها أجمع آية في وصف النار قوله
والذين كفروا لهم نار جهنم لا يُقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف
عنهم من عذابها وأجمع خير فيها خير محمد بن الحنفية وإن كان
مرسلاً حدثوا عن النار بما شتم فلن تحدثوا عنها بشيء إلا وهي
أشد منه والذي يوجب القياس الشديد أن يكون كل ما وصف
به النار من أغلالها وانكالها وحياتها وعقاربها وأوديتها ومقامها
وسائر ما ذكر في القرآن والأخبار خلاف ما هو في الدنيا
كما قلنا في صفة الجنة وإن يكون الجمع بينهما من جهة الاسم

لا من جهة المعنى لأن النار دار خلود كما أن الجنة دار
خلود [٣٨٧ ٣] وسئل ابراهيم النخعي عن صفة نار جهنم فقال
ناركم هذه جزء من سبعين جزء من نار جهنم ولقد ضرب بها
البحر مرتين ولولا ذلك لما انتفتم بها وسئل الحسن عن
النار فقال يصير البحر نارا ثم تلا واذا البحار سُجرت فقال
يفجر بعضها من بعض ثم يرسل عليها من الجنوب ريحا ويُسلط
عليها الشمس حتى يسجرها فتصير^١ نارا فجعلها الله محبا لأهل
الماضي وزعم قوم أن النار مخلوقة اليوم وأنها تحت تخوم
الارضين السفلى والبحار هي الحاجزة عن الخلق وأن حرارة
الشمس وحى الصيف مؤخرها^٢ ورووا أن النار اشتكت فقالت
أكل بعضي بعضا فأذن لها في نفسين نفس في الصيف
ونفس في الشتاء وأراك أشد ما يكون في الحر والبرد وفي
الصباح من الحديث اردوا بالظهر فإن في شدة الحر من فيج
جهنم واستعظم قوم بقاء ذى روح في النار وذلك لتصور
عليهم لأن النار ضروب كالأثير الذي يزعمون في علو الهواء

^١ فيصير . Ms.

^٢ مؤخرها . Ms.

وكالنار الكامنة في الحجر والشجر وقد سُئل ابن عباس رضى
 الله عنه فيما رووا فقال النيران أربع نار تأكل وتشرب
 وهى ناركم هذه ونار لا تأكل ولا تشرب وهى النار فى
 الحجر ونار تشرب ولا تأكل وهى نار الشجر ونار تأكل
 ولا تشرب وهى نار جهنم تأكل لحومهم ولا تشرب دمآهم
 فلذلك يبقى أرواحهم فأخبر أن نار جهنم خلاف النيران
التي ذكرها بقول الله تعالى كلما نضجت جلودهم بدلناهم
جلودا غيرها فأخبر سبحانه أنه يُبدل لهم الجلود لتبقى لهم
 الأرواح لا تأقى عليهم النار فيُنهم وقد أرانا الله من قدرته
 فيما ركب عليه طباع بعض الحيوانات ما دلنا به على جواز بقآء
 ذى روح بالخلد كالنعام التي تأكل النار ولا يضرها والطارئ
 الذى يدخل النار فلا تُحرقه وما أراه جل ذلك إلا عبرة
 فدلتنا على جواز بقآء الحياة فى أهل النار وآلا فما جاز فى طباع
 الحيوان الاعتذآء بالنار والحديدة المصمآة وجاء فى صفة أهل
 النار بالعجب الفظيغ فمن ذلك ما روى أنه سُئل أبو
هريرة رضى الله عنه عن قوله تعالى ومن ينزل يأتي بما غل
 يوم القيامة وكيف يأتي من غل مائة بئر ومائتى شاة فقال

أرأيت من كان ضرسه مثل الأُحد وفخذه مثل ورقان وساقه
 مثل البيضاء ومجاسه ما بين المديثة الى الربذة وعن الربيع بن
 أنس قال مكتوب في الكتاب الأول أن جلد أحدهم أربعون
 ذراعاً وبطنه لو وُضع فيه جبل لوسعه وأنه ليكي حتى يصير
 في وجهه أخاديد من الدمع لو طُرح فيها السن لجرث كذا
 الرواية والله أعلم ، وأعلم أن كل ما يُوصف من الجنة والنار
 فصيله السمع والخبر وما موجب العقل فالأصل الذي هو
 الجزاء فلا تشتغل بجواب السائل عن الصفات إذا كان مُكرراً
 للأصل حتى يُقر به ،

فذكر اختلاف الناس في بقاء الجنة والنار وفنائها قرأت في
 شرائع الحنابلة أن للعالم علة لم يزل وأنه واحد لم يتكرر
 ولا يلحقه وصف شيء من المعلومات كلف أهل التمييز الإقرار
 بربوبيته وبمات الرسل للدلالة وتشيت الحجة فوعدوا من
 أطاع نبياً لا يزول وأوعدوا من عصي عذاباً بقدر استحقاقه
 ثم ينقطع وقال بعض أوائله أنه يعذب سبعة (٧٣ 37) آلاف
 دور ثم ينقطع العذاب ويصير الى رحمة الله تعالى والهند على
 كثرة اختلافها يجمعها نحلطان السميّة المطللة والبراهمة الموحدة

وكلهم مقرّون بالجزاء وأنّ العذاب سينقطع يوماً والسمنية تقول
 ان الثواب والبقاب موجودان في هذا العالم بالحواس جزاء ما
 اكتسبته النفوس باقية خالدة فاعلة وفعلها الإيجاد بالأجساد
 وأنها لا يزال ساكنة الأبدان فاذا فئارت جسداً لم تمدّ
 فيه أبداً وأنها تتناسخ على فعالها لا يأتي أمراً إلا على قدر هواها
 وهمتها فاذا اجتاحت السيئات أثرت تلك الأفعال في
 جوهرها وصار غرضاً لازماً لها فاذا فارت الجسد ذهبت
 بذلك التأثير إلى الجنس الذي لا يلايم همتها فتلابسه فيصير
 ذلك السبب إلى المكروه وهو التناسخ في أجساد الحيوان
 ككله من الهوام والانعام والآنم والطير في البر والبحر قالوا
 وأشدّ ذلك كله إذا حوت في جسد حيوان تحت الأرض
 حيث لا ماء ولا معمورة ويطول عذابها بالجوع والعطش والحرّ
 والبرد ثم تُججج^١ إلى جهنم وعذابها وذلك نهاية العذاب وأخراه
 ثم يمود من جهنم القهقري إلى وجه الأرض للعمل قالوا وأتى
 عملت الصالحات والأفعال الفاضلة بالصدّ مما وصفنا فيلبس
 الجمال والكمال والصحة والأمن والقوة والإنس والنشاط

^١ تججج. Ms.

والمُلك والمزَّ وصيب النَّفس ويصير آخِر ذلك كَلِّه الى
الجنة فيمكث فيها بقدر استحقاقها ثم يرجع الى الدنيا للعمل
قالوا والجنة اثنتان وثلاثون مرتبة ويمكث أهلها في أدنى مرتبة
منها أربع مائة ألف سنة وثلاث وثلاثين ألف سنة وستمانه
وعشرين سنة وكل مرتبة أضاف ما دونها بحساب يطول عدده
قالوا والنار اثنتان وثلاثون مرتبة ثم وصفوها بتجانب الصفات
من الحريق والزهرير وزعموا أن من قتل شيئاً من الحيوان
دون الناس قُتل به مائة مرة ومرة ومن قتل إنساناً قُتل به
ألف مرة ومرة قالوا وليس عُصْرُ من الأعضاء قبح او سبج
خلقتُه إلا وقد أتى صاحبه بذلك العُصوداهية من الدواهي
هذا أصل التناسخ ومنهم انتشر في سائر الأمم وليس من
أمة من الأمم إلا وهي مُقرّة بالجزاء كما ذكرنا إنا التناسخ
وإنا الذخر في الآخرة وأجمعوا أن العذاب بقدر الاستحقاق ثم
ينقطع وزعم كثير من اليهود أنه إذا أتى على الجنة والنار ألف
سنة بمد ما صار اليها أهلها فنيتنا وتمطلنا وصار أهل الجنة
ملائكة وأهل النار رميماً واحتجوا بقول الانبياء الاثنى عشر^١

^١ ' Ms. عر

أنه مكتوب في سفر يهوشوع^١ أن الله يقول إن تمسكت
أمرى وأتممت ميثاقى أعطيتك موضعاً وسط هولاة الواقفين
قدامى وقال فى أهل النار يصيرون رمياً تحت أرجل معاشر
أهل الجنة وسمت رجلاً من يهود اللعنة يزعمون أن
منهم من يقول أن العالم ينقضى فى كل سنة ألف سنة
ومجدد وأن يوم السبت يوم الحساب ومقداره ألف سنة ويوم
الأحد يوم الأبداء والله اعلم بما قال وكثير منهم يقول
يتآ أهل الجنة والنار على الأبد ويحتجون بقول شعيا فى سفره أن
أهل الجنة يخرجون ويرون أجساد الذين عصوني لا يموت
أروانهم ولا تمخند نارهم والمجوس يزعم أن المسى^٢ يجازى
بقدر استحقاقه بعد موته [٣ 38 ٣] بثلاثة أيام كفاء ما فعل
سواء لا زيادة ولا نقصان ومنهم من يزعم أن الجنة والنار فى
الدنيا بأرض الهند مع هوس كبير وتخليط ظاهر،

ذكر اختلاف الناس فى هذا الفصل زعمت طائفة منهم
أنه لا بد من فناء النار وانقضائها يوماً ما رَوَوْا فيه روايات
فرووا عن ابن مسعود رضى الله عنه انه قال يأتى على جهنم

^١ يهوشوع . Ms.

زمان تخفق^١ أبوابها ليس فيها أحد وذلك بعد ما لبثوا أحقاباً
 وعن الشعبي جهنم أسرع النذارين خراباً وعن عمر رضى الله
 عنه وأرضاه لو لبث أهل النار في عدد رمل عالج لكان لهم
 يرجون واحتجوا بأشياء من باب التمديل ولم يختلفوا في بقاء
 الجنة على الأبد وقالوا آخرون أنهما مؤبدتان دائمتان لا تفتيان
 ولا تزولان واحتجوا بأنه لم يكن نعم الله انتهاءً وجب ان
 لا يكون لنعمه انقضاء ورووا عن الأوزاعي انه ذكر هذه
 الروايات التي احتج بها الأولون وقال قيد كان الناس يرجون
لأهل النار الخروج عند قوله خالدين فيها ما دامت السموات
والارض إلا ما شاء ربك وقوله لا يئس فيها أحقاباً فلما نزلت
في المائدة وهي آخر ما نزل في القرآن يريدون ان يخرجوا
 من النار وما هم بمخارجين منها ولهم عذاب مقيم علموا انها
 لا تفتى ابداً فإن قيل كيف يجوز على الحكم العدل ان
 يعاقب على جرم منقضٍ بتقوية غير منقضية قيل هو الجزاء
 على السواء وكما انه لم تقصر مدة عمره على الكفر في دار
 الدنيا وجب ان لا يقصر عنه العذاب مدة عمره في الآخرة

^١ محقق Ms.

وأيضاً فإنَّ نعمة ما لم تكن مسيبة وجب ان لا يكون نعمة
 تنهية وقد كانت العرب في جاهليتها تؤمن بالحزاء، ومن نظر
 منهم في الكتب كان مُقرأً بالجنة والنار فنه قول أمية [وافر]

جَهَنَّمَ تَلْكَ لَا تَبْقَى بَقِيًّا	وَعَدْنُ لَا يَطَالِبُهَا رَجِيمٌ ^١
إِذَا جَهَنَّمَ ثُمَّ قَادَتْ	وَأَعْرَضَ عَنْ قَوَابِهَا الْجَعِيمِ
يُحِبُّ بِصَنْدَلٍ صَمَّ صَلَابِيٍّ	كَأَنَّ الصَّاحِيَاتِ لَهَا قَضِيمٌ ^٢
فَتَسُوا مَا يَنْبِئُهَا ضَوَاءُ	وَلَا يَجِبُ فَيُرْدِيهَا السُّومُ
فَهُمْ يَطْفُونَ كَالْأَقْدَاءِ فِيهَا	لَنْ ^٣ لَمْ يَخْفِ الرَّبُّ الرَّحِيمُ
بِذَانِيَّةٍ مِنَ الْأَقْنَاتِ نَزْوِ	بِرَّاءٍ لَا يَرَى فِيهِ سَقِيمُ
سَوَاعِدُهَا تَحْلُبُ لَا تَصْرَى	بِهَا الْأَيْدِي مَحْلَلَةٌ تَحْمِ
يُضِضُ حَلَابِهَا مِنْ فَيْرِ ضَرْعِ	وَلَا يَبْشُمُ وَلَا فِيهَا جُزْؤُ
فَيَحْرَمُ عَنْهُمْ وَكَلَّ مَرَقِ	عَجِجٍ ^٤ لَا أَحَدٌ وَلَا يَتِمُّ ^٥
فَذَا عَمَلٌ وَذَا لَبَنٌ وَغَرُّ	وَقِحَ فِي مَنَابِتِهِ صَرِيمُ
وَتَخْلُ سَاتِطُ الْأَكْتِافِ عَدِ	خِلَالَ أَصْوَلِهِ رُطْبُ قِيمِ
وَتَسْنُحُ وَرَمَانٌ وَمَوْزُ	وَمَاءٌ بَارِدٌ عَذْبُ سَلِيمِ

^١ Ms. رجم.

^٢ Ms. قضيم.

^٣ Ms. لين.

^٤ Ms. عجاج.

^٥ Ms. ييم.

وفيها لحم شاهدة ونحري^١ وما ساءوا لهم فيها مقيم
 وحور لا يرون الشمس فيها على صور النوى فيها شهرم
 نواعم في الأرائك قاصرات فهن عقائل وهن قروم
 على سرور ترى متقابلات الأسم النضارة والنسيم
 عليهم سندس وجناب رباط وديباج يرى فيها فيوم
 وحلوا من أساور من لجنين ومن ذهب وعجدة كريم
 ولا لغو ولا تأنيم فيها ولا غول ولا فيها ملهم
 وكأس لا يصدع شاربها يلدن بمحسن رويتها النديم
 يصقوا^٢ في صحاف من لجن ومن ذهب مبادكة رذوم
 إذا بلغوا التي اجرؤا اليها تقبلهم وحلل من يصوم
 وخفتت البدر وأردفتهم فضول الله وانتهت القوم

[٣٨ ٣٠] اعلم أن هذه الاشياء مما جاءت به الرواية والخبر
 فمنها ما هو ثواب ومنها ما هو عقاب ومنها ما هو تمييز وتفریق
 والمسلمون لا يختلفون في أساميتها وإنما الخلاف في معانيها
 فإما الصباط فقد جاء في الحديث أنه يُنصب جسر على ظهر

^١ بحر. Ms.

^٢ صفر. Ms.

جهنم ويحمل الخلق عليه فمن كان من أهل الجنة جازمه ومن
 كان من أهل النار تهافت فيها وقيل في صفة أنه أحد من
 السيف وأدق من الشجرة دحض^١ مزلّة وفيه كلاليب
 وخطاطيف وسندان مضرّة وحسك مُفلطحة مُسيرة كذا سنة
 صعوداً وهكذا هبوطاً وكذا وطأً والناس يجوزونه بقدر أعمالهم فمنهم
 من يمر كالبرق الخاطف ومنهم من يمر كالريح العاصف ومنهم من
 يمر كالطير المادى ومنهم من يمر كالجواد المضّر ومنهم من يمر عدواً
 ومنهم من يمر هرولةً ومنهم من يمشى مشياً ومنهم من يزحف
 زحفاً ومنهم من يجبوحيواً ومنهم من يُحتضنه بكفحه وصدرة
 والزأون والزالات^٢ كثير وقد أُجيب من زعم أنى ظلم أعظم
 من حمل الناس على ما هذه صورته أنه جل تمييزاً بين
 أهل الطاعة وأهل المصيبة وعلامة للحق على هلاك من هلك
 ونجاة من نجا وقد جاء في بعض الأخبار أن أهل الطاعة
 يجوزونه ولا يشعرون به وقيل ينزوي تحت أقدامهم كما
 ينزوي الجلدة من النار فاذا استقرّوا في الجنة قالوا ما بالنا
 لم نحر الصراط ولم نزد النار التي وعدنا فيقال إنكم جُزتم الصراط

^١ دحض Ms.

^٢ الزلون والزالات Ms.

في الدنيا بأعمالكم ووردتم النار وهي خامدة ومن هاهنا ذهب من ذهب الى تأويل الصراط وما الزم الانسان وكلف من مشقة الطاعة ومجاهدة النفس فيما يتزع اليه وعلى هذا فسر بعضهم فلا اقتحم العقبة وما أدراك ما العقبة فك رقبة الآية وأما المتزلة وأهل النظر فإتهم يذهبون إلى أن الصراط هو الدين الذي أمر الله بلزومه والتمسك به وكان ابو الهذيل من بينهم يجيز ما جاء في الخبر كما جاء ويحتج بما ذكرناه بدءاً وأما الميزان فروى كثير من المسلمين انه خلق على هيئة الميزان التي يعاطاه الناس بينهم في معاملاتهم ومبايعاتهم يوزن به أعمال العباد والأعمال عندهم مخلوقة وفي كتاب وهب عن ابن عباس ان له كفتين وعموداً كل كفة طباق الأرض احدهما من ظلمة والأخرى من نور وعموده ما بين المشرق والمغرب وهو معلق بالعرش وله لسان وصيح ينادى الأسد فلان والأشقي فلان فإن صحت الرواية فالمنى فيه ما ذكرناه في الصراط انه جعل مميّزاً فارقاً وهو قول ابى الهذيل يجوز ان يُنصب ميزان يجعل رُجحانه علامة لمن نجا وخفّته

علامة لمن هلك وقالت المعتزلة غيره وكثير من الأمة ان
الميزان مثل لتسوية الجزاء وتحقيق العدل وهو قول مجاهد
والضحاك الشعبي واحتجوا بقول الناس للرجل الأمين العدل
ما هو إلا كالميزان المستقيم ألا ترى الى ما يرى به عمر بن عبد
العزيز رحمه الله [بسيط]

قد غيب^١ الدافنون التراب اذ دفنوا بندير سمان قسطان الموازين

وانشد الفراء بيتاً [كامل]

قد كنتُ قبل لقائكم داميةً هدى لكلٍ مخاصم ميزان

[٣٩ ٣٢] ويسمى الحجة ميزاناً والله اعلم واحكم وختلفوا في
الموزون فقال قوم يُوزن عين الأعمال فتخف السيئة لانه
يأتيها الإنسان بحفمة ونشاط وتشغل الحسنة لانه يأتيها ببناء
وكلفة وقالت طائفة بل يوزن صُحف الأعمال وهو قول ابن
عباس رضي الله عنه ويضد رواية عبد الله بن عمر عن
النبي صلعم يُوثى رجل يوم القيامة ويوثى بتسعة وتسعين سجلاً

^١ Ms. عب, corrigé d'après le vers de Férzdaq cité par Mas-
'oùdi, *Prairies d'Or*, t. V, p. 445.

كلّ سجلّ مدّ البصر فيها ذنوبه وخطاياها فيوض في كفة ثم يخرج له قرطاس مثل وشد بطرف سبائه على بعض إبهامه فيه شهادة ان لا إله إلا الله فيوضع في الكفة الأخرى فيرجح به وقال قوم يوزن ثواب الأعمال وذلك ان الله يظهره في صورة ويُحدث عند الوزن ثقلًا في الطاعة وخفة في المعصية وكلّ ما حكى وروى ممكن والله أعلم بالحقّ وأما الأعراف فذكر أنه كسور بين الجنة والنار يوقف عليها قوم إلى أن يقضى الله تعالى بين خلقه مع اختلاف كثير في من يقام عليه ويدلّ على أنه من الجنة قوله عزّ وعلا ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة أن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله^١ وفيه يقول أمية بن أبي الصلت

وآخرون على الاعراف قد طعموا
بجنة حنّ الرمان والحصر
منهم رجال على الرحمن رزقهم
مكفر عنهم^٢ الاخبث والرزق

وأما الصور فإن الرواة مختلفة فيه فروى أنه كهية القرن

^١ رزقكم Ms.

^٢ عنه Ms.

يُجمع فيه الأرواح ثم يُنفخ منه في الأجساد عند البعث وقال
قوم يخلق الصور يوم القيامة وتأولوا قوله وهو الذي خلق
 السموات والأرض بالحق ويوم يقول كن فيكون قال يقول
 للسموات كوني صوراً يُنفخ فيه وقال بعضهم الصور جمع الصورة
 وإن صح الخبر كيف انعم وصاحب الصور قد التمه وخنا
 وجهته ينظر متى يؤمر فينفخ لزم التسليم والقول به وأما
 الحوض جاء في الحديث بروايات مختلفة وقال كثير من
 أهل التفسير أن الكوثر اسم حوض النبي صلعم وروى ما بين
 جنبى حوضى كما بين صنماً وإلهة وآيته في عدد نجوم السماء
 ماءه أحلى من العسل وأبرد من الثلج وأشدّ بياضاً من اللبن
 من شرب منه شربة لا يظأ بعدها أبداً وقال قوم في تأويل
 الحوض انه عمله ودينه وطريقته والله أعلم.

• واسمه Ms. •

تم الجزء الأول

فهرس الجزء الاول من كتاب البدء والتاريخ

المصحفة	العنوان
١-٨	كلمة المؤلف في بيان علة تأليف الكتاب
٨-١٧	ذكر فصول الكتاب وفهرسها على التفصيل

الفصل الاول في تثبيت . سطر وهديب الجدول

١٩-٢٠	تعريف العلم وطريق حصوله
٢٠-٢٣	كمية العلوم ومراتبها وبيان حقائقها
٢٣-٢٧	تعريف العقل وما قاله أرسطو وبعض الفلاسفة في ذلك
٢٧-٢٨	القول في الحسن والمحسوس
٢٨-٢٩	درجات العلوم وتقسيمها الى واجب وسالب وممكن
٢٩-٣٠	تحقيق في معنى الحد وما قاله بعض الحكماء في ذلك
٣٠-٣١ :	تحقيق في معنى الدليل وما قيل في ذلك
٣١-٣٢	تحقيق في معنى العلة
٣٢-٣٣	تحقيق في معنى المعارضة وما قيل في ذلك وبيان اقسامها
٣٤	تحقيق في معنى القياس وما قيل في ذلك
٣٤-٣٥	تحقيق في معنى الاجتهاد والنظر
٣٥	الفرق بين الدليل والعلة
٣٦	القول في الدليل
٣٧-٣٩	القول في الحدود وبيان حقيقة الشيء والجسم والجوهر
٣٩-٤١	بيان الاقوال في الجزء الذي لا يتجزأ

الصحيحة	العنوان
٤١	بيان حدّ الزمان وما قاله أفلاطون في ذلك
٤٢	بيان حد المكان وما قيل في الخلاء والغضاء
٤٣	بيان حد الاسم والوصف والقول والمعنى والحركة والجنس والنوع
٤٤	القول في الأضداد
٤٤-٤٨	القول في حدث الأعراس وبسط الكلام في ذلك
٤٨-٤٩	السوفسطائية والردّ عليهم
٤٩-٥٠	في الرد على من يبطل النظر ومن يدعى أن لادليل على النافي
٥٠-٥١	مراتب النظر وحدوده
٥١-٥٣	بسط كلام في علامات الانقطاع عن الحجّة
٥٣-٥٥	السكوت بعد استقرار الحق ابلغ من الكلام في النبّه عنه

الفصل الثاني في اثبات الباري وتوحيده بالدلائل القطعية

٥٦	الأدلة على اثبات الله عز وجل غير متناهية
٥٧-٥٨	من الأدلة أن الأمم المحمودة غير مختلفين في وجود آثار الصانع
٥٩-٦٠	ومنها أن الناس ولهون فزعون إليه تعالى في المكروه والشدائد
٦٠-٦٤	ومنها أن الناس في أقطار الأرض يسمونه تعالى بخواص من أسمائه
٦٤	ومنها وجود العالم والنظام الواقع فيه
٦٥	ومنها التفاضل الواقع في الموجودات من الإنسان والحيوان والنبات والجماد
	الفكرة في جميع الموجودات حتى الصغيرة منها تهدي الإنسان
٦٥-٦٧	إلى الصانع عز وجل
٦٨	ذكر أمثال لتقريب الذهن في اثبات الصانع
٧٠	الردّ على من يقول أن العالم من فعل الطبايع

العنوان	الصحيفة
حدوث الشيء دليل على كونه مصنوعاً ومخلوقاً	٧١
ما نقل عن بعض الحكماء في اثبات الصانع	٧١
ومن الدلائل فسخ العزم ونقض الهمة	٧٢
ذكر آيات من القرآن في هذا الباب	٧٢-٧٤
ذكر حديث بليغ في هذا الباب	٧٤
شعراء الجاهلية يشيرون إلى الله تعالى في أشعارهم مع كفرهم به	٧٥-٧٨
التفتيش عن ذاته تعالى محال	٧٨
ماقاله رسول الله (ص) لسائل سأله عن كيفية الله تعالى وهويته	٧٩
ماروى عن رسول الله (ص) في أن الشيطان يدعو الانسان إلى السؤال	
عن ماهيته تعالى	٨٠
جميع الناس مقرّون بوجود شيء في الغائب خلاف الحاضر	٨٠
ليس كل ما يدرك يوصف	٨١
الله تعالى ليس كالنفس او العقل	٨٢-٨٣
هوية الله تعالى لا يدرك و اوصافه عين ذاته	٨٣-٨٤
نقل كلام بعض المتكلمين في ماهيته تعالى ومنع الخوض في ذلك	٨٤-٨٦
في اثبات التوحيد	٨٦-٨٨
بيان قول المجوس بآله الخير والشر واختلافهم في قدم الشرير	
وحدوثه و وهن عقيدتهم	٨٨-٩٠
ما قاله الثنوية في ذلك وبيان فساد عقيدتهم	٩٠-٩١
إفحام جعفر بن حرب الثنوية	٩١-٩٢
القول بابطال التشبيه	٩٣-٩٤

الفصل الثالث في صفاته وأسمائه

- ٩٥ اوصاف الله تعالى على قسمين : صفات الذات وصفات الفعل
- ٩٦ نقل اقوال المتكلمين في ذلك
- ٩٧-٩٩ ما قاله المعتزلة في صفات الذات والرد عليهم
- ٩٩-١٠٣ القول في أساميه تعالى وما قاله المتكلمون في ذلك
- ١٠٣ نقل اختلاف القوم في تناهي ذاته وعدمه
- ١٠٣ نقل اختلاف القوم في كلامه وادارته تعالى
- في أنه تعالى محيط بكل مكان وتقل بعض الاقوال المزيقة في أنه
- ١٠٤ على المكان - وسبحانه عما يفترون -
- ١٠٤-١٠٦ في علمه تعالى وما قاله بعض الناس في ذلك والرد عليهم
- ١٠٦ الكلام في قدرته تعالى على المحال
- ١٠٧ الكلام في انه تعالى هل يقدر على الجور أم لا
- ١٠٧ الكلام في أن قدرته تعالى هل هي علمه أو غيره
- ١٠٧-١٠٨ كلام موجز في الجبر والاختيار وخير الامور

الفصل الرابع في تثبيت الرسالة و ايجاب النبوة

- ١٠٩-١١٠ نقل كلام البراهمة في انكار الرسل والرد عليهم
- ١١٠-١١١ كلام في رد من يقول لم يجعل الله كل أحد نبياً ؟
- ١١٢ كلام آخر في ايجاب النبوة ولزوم المعجزة للنبي
- ١١٣ كيفية الوحي والرسالة
- ١١٣-١١٤ كلام في كيفية القول والفعل من الله تعالى

الفصل الخامس في ذكر ابتداء الخلق

١١٥-١١٦	ما هي حكمة الخلقة وعلتها؟
١١٦-١٢٣	بسط كلام في رد المعطلة القائلين بقدوم العالم
١٢٣-١٢٩	ذكر بعض الأدلة في حدوث العالم
١٢٩-١٣٥	إثبات الحدوث ورد الأشكال الواردة في ذلك ماحاكاه افلوطرخس من أقاويل الفلاسفة في ابتداء الخلق ومبدء الموجودات
١٣٥-١٤٠	مازعمه ايوب الرهاوي في المقام
١٤٠	ماحاكاه بعض أهل الاسلام عن الفلاسفة في هذا المقام
١٤٠-١٤٢	مقاله الثنوية والحرانية في ذلك
١٤٢-١٤٤	مقالة اليهود والنصارى في ابتداء الخلق
١٤٥-١٤٦	ذكر مقال أهل الاسلام وبعض الروايات في بدء الخلق
١٤٦-١٥١	البحث والتنقيح فيما قاله الملل المختلفة في ذلك وتصويب ارجح المذاهب
١٥١-١٥٦	ذكر اول ما خلق في العالم العلوي والسفلي وفذلكة البحث
١٥٦-١٦٠	

الفصل السادس ذكر اللوح والقلم والكرسى والملائكة

والصور والصراط والميزان والحوض وسائر ما يعد

من امور الاخرة

١٦٠-١٦٣	ذكر ما قاله اكثر المفسرين في اللوح والقلم والمحور والاثبات
١٦٣-١٦٤	ما قاله بعض المتفلسفين في ذلك وذكر رواية ابن عباس

الصحيحة	العنوان
١٦٤-١٦٦	ذكر العرش والمراد منه
١٦٦	ذكر الكرسي والمراد منه
١٦٧-١٦٨	ما قيل في حملة العرش
١٦٩-١٧٢	ذكر الملائكة وما قيل في صفاتها
١٧٢-١٧٧	ذكر بعض الروايات في صفات الملائكة
١٧٢-١٧٨	هل الملائكة مكلفون ام مجبورون ؟
١٧٨-١٨١	هل الملائكة افضل أم صالحوا لمسلمين
١٨١-١٨٣	ذكر ما جاء في الحجب
١٨٣- ١٨٤	ذكر ما جاء في سدة المنهى
١٨٤-١٨٥	لزوم الجزاء لاعمال العباد
١٨٦-١٨٨	ذكر اختلاف الملل المختلفة في الجنة والنار وبيان بعض أقوالهم
١٨٨-١٩٠	ذكر اختلاف المسلمين في ذلك وبيان آرائهم
١٩٠-١٩٤	بعض الآيات والروايات الواردة في صفة الجنة وأهلها
١٩٤-١٩٧	بعض الآيات والروايات الواردة في صفة النار وأهلها
١٩٧	ذكر اختلاف الملل المختلفة في بقاء الجنة والنار وقائهما
١٩٨-١٩٩	ما يقوله السمنية من اليهود في التناسخ
١٩٩-٢٠٠	ما زعمه اليهود في فناء الجنة والنار وبقائهما
٢٠٠-٢٠٢	ذكر اختلاف المسلمين في هذا الفصل
٢٠٢	كانت العرب في الجاهلية تؤمن بالجزاء
٢٠٣-٢٠٥	كلام في الصراط ومرور الناس عليه
٢٠٥-٢٠٧	ماروى في الميزان والمراد منه
٢٠٧-٢٠٨	الاعراف والصور والحوض

كتاب البلد والبلد

للطهر بن طاهر المقدسي

الجزء الاول

مكتبة الثقافة اللدبية

الركن الرئيسي ٥٢٦١ شارع برصية القاهرة

تلفون ٩٣٦٢٧٧ / ٩٣٢٦٢٠